

مجلة كلمة حق العدد ٢٧
السنة الثالثة أكتوبر ٢٠١٩
كلمة حق
تخدير الحماس .. رفع عتبة اللامبالاة
منتصر قيسي
قواعد شرعية حاكمة للنظر في الحراك المصري
د.وصفي عاشور أبو زيد
الانتظار لا يصنع الانتصار
د.عطية عدلان
مذكرات رفاعي طه (١٩)
محمد إلهامي
انتصار وانكسار
د.مجدي شلش
وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد ٢٧

أكتوبر ٢٠١٩

كلمة حق
klmtuhaq
دوريـة ثـقـافـيـة مـعـرفـيـة
نخبة من الكـتـاب والمفكرين

الافتتاحية ..

ثورة متسولة

محمد إلهامي



تعددت الأقوال والأمثال والحِكَم التي تُحَقِّر من لا يستفيد من تجاربه، حتى قال بعضهم الإنسان حيوان ذو تاريخ، وذلك أنه يستطيع تذكر الماضي واختزان تجارب الجيل السابق فيستفيد منه، وهذه الاستفادة هي التي تصنع تقدمه وتطوره، بينما الفأر يمكن أن يُصاد بنفس المصيدة وقطعة الجبن التي وقع فيها جده قبل ألف سنة، ونفس هذه المصيدة تصيد بقية إخوانه من بعده.

نحن الآن بعد أكثر من ثماني سنوات من ثورة يناير، ولكن البعض يريد تكرار نفس المشهد! يكفي هذا وحده لنحكم عليه بالحمق والسفاهة.

" لكن الأكثر إثارة للاستغراب أنه لا يريد حتى تكرار نفس المشهد، بل هو يريد تكرار الجزء الألطف والأسهل فيه، جزء الهتافات واللافتات والتجمعات الكثيرة، وينسى تماما المشهد الأهم والأقوى والأخطر في الثورة، المشهد الذي واجه فيه الشعب السلطة حتى أحرق أقسام الشرطة وقاتل في الشوارع وكاد أن يقتحم وزارة الداخلية، ونزل بأسلحته ليحمي الشوارع ويغلقها في وجه الشرطة، بل قاتل فيه الوحدات الأولى من الجيش التي نزلت إلى التحرير وأحرق سيارات الجيش.. هذا المشهد هو الذي شلَّ الذراع الأمنية للنظام وأجبر النظام على الاستعانة بالجيش، وساعتها كان القرار الأمريكي الذي أمر الجيش بعدم استعمال العنف ضد المتظاهرين والبدء بالتغيير هو الذي شلَّ الذراع العسكرية للجيش. "

لم يكن الشعب ساعتها يعرف ماذا سيكون عليه القرار الأمريكي، من فضل الله على الجميع أنه كان في صالح التغيير (ولسنا الآن بصدد الحديث حول ما إن كان هذا القرار الأمريكي صحيحا أم خاطئا، فهذا أمر لا يزال يتجادل فيه الأمريكان أنفسهم، وتروي مذكرات هيلاري كلينتون وروبرت جيتس وغيرهم كيف تجادلوا فيه)، نقول: لم يكن الشعب ساعتها يعرف ماذا سيكون عليه القرار الأمريكي، لكن الجزء الذي يقوم به من مواجهة حقيقية للنظام قد تمَّ فعلا، وصارت أجهزة الأمن وعناصرها يختبئون ويخشون من الانتقام.

لولا هذا ما استطاعت النخبة اللطيفة من الشباب المرفه وطلاب الجامعات الأجنبية وغيرهم من المتعلمين والمواطنين الصالحين أن يظلوا في التحرير بأمان يمارسون هتافاتهم وصياحهم ويكتبون لافتاتهم بالإنجليزية ويمثلون مشاهدهم المسرحية الكوميدية في ميدان التحرير. بل وحتى اللحظة الفاصلة في ميدان التحرير (يوم معركة الخيول والجمال) لم يتصدَ لها إلا شباب القرى والأقاليم والصعيد والمناطق الشعبية، ولولا أولئك لسُحِق المتعلمون اللطفاء كما تسحق الكيك تحت الأشواك والسكاكين.

لماذا ينسى الأكثرون هذه الحقيقة رغم أنهم عايشوها؟

الإجابة: هذا هو الدور الذي قامت به وسائل الإعلام في انتقاء واستعراض مشاهد معينة من الثورة، وتلميع وترميز شرائح بعينها من الشباب على أنهم صناع هذه الثورة وأبطالها، ومن وراء وسائل الإعلام المنظمات المحلية والدولية التي جعلت من صاحب صفحة على الفيس بوك أو حساب على تويتر قائدا ثوريا قاد التغيير في مصر!

الذين تشربوا هذه الرواية الإعلامية الدولية المسبوكة، وغفلوا عن الذي حدث على الأرض، تصوروا في لحظة غيبوبة غريبة أن التجمع والهتاف في ميدان ما يساوي حصول تغيير سياسي في واحدة من أهم دول العالم، مصر التي ترتكز فيها مصالح إقليمية ودولية في غاية الحساسية، والتي تجاور إسرائيل، وإسرائيل هي عقدة الصراع العالمي كله كما يقول جمال حمدان.



لا شك، لقد طرب الأكثرون لما حدث من تغيير قليل التكلفة لطاغية ظن الناس أنه ضد الزمن ورغم أنف التاريخ، ثلاثين سنة يحكم بقبضة حديدية، لا يموت رغم شيخوخته ولا تؤثر فيه معارضة سلمية ولا مسلحة، بدا الأمر كالخيال أو الحلم، سرت حالة من عدم التصديق أنه خُلِع بهذه البساطة..

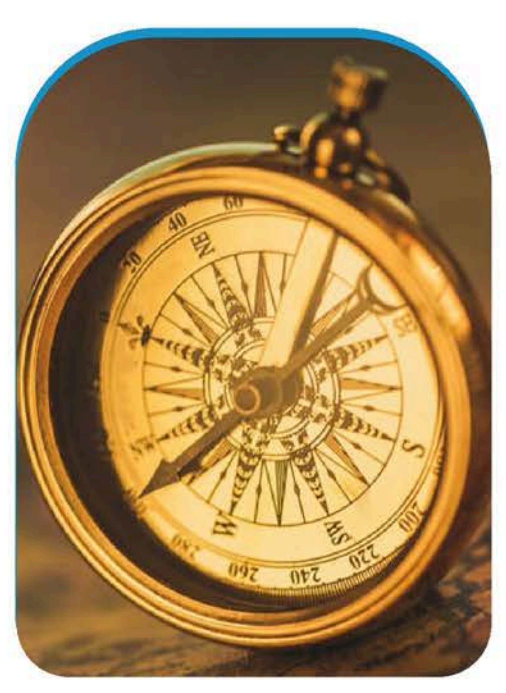
ومع أن كثيرا من الحصفاء كان يعرف ما جرى ويحذر منه (حفظ الله شيخنا الحبيب حازم أبو إسماعيل وأتباعه) إلا أن الأكثرين أحبوا أن يشربوا من خمر السهولة التي حصل بها هذا الأمر، وساروا وراء هذا الوهم (وهم أن التجمع السلمي والهتاف يغير الأنظمة) طوال السنين التالية، حتى دفعوا ثمن هذا الوهم آلافا من الشهداء في سلسلة مذابح غير مسبوقة في تاريخ مصر الحديث وفي التصفيات الجسدية وفي القصف المستمر في سيناء، مع مئات الآلاف من الأسرى والمطاردين والمهاجرين.

هنا يجب أن نستفيق.. أن نستيقظ.. ألا نشرب من هذه الخمر مرة أخرى.. أن نفهم أن التجمع والهتاف لا يغير النظم السياسية، وحتى لو أنه يغير بعض هذه النظم (جدلا وتنزلا) فلن يكون هذا مناسبا أبدا لتغيير نظام عبد الفتاح السيسي.

وقديما كان أبو نواس يحب الخمر مع أنه يعرف أنها داءُ، فتفلسف حتى جعلها الداء والدواء، وقال أبياته المشهورة:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء .. وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها .. إن مســه حجـر مستـه ســراء

وطفق يتغزل في الخمر حتى ليشتهي قارئ قصيدته أن يشربها حتى وهو يعرف أنها أم الخبائث، ولو أن أجيالنا المعاصرة تحسن فهم العربية لانصرفوا بقصائد أبي نواس وأمثاله من فحول الشعراء عن الرداءة التي يسمعونها الآن، إلا أنه خرج فيهم من يغريهم بخمر أبي نواس باللغة الرديئة، ويطلب منهم النزول إلى الميادين بسلمية والتجمع فيها والهتاف وتصوير هذا لكي يراه العالم فيتغير السيسي؟والشرطة؟ والجيش؟



هنا ننادي (وزير الدفاع المحترم) لكي لا يطلق الرصاص على الشعب، وننادي (وزير الداخلية المحترم) لكي لا يطلق الرصاص على الشعب..

وإذ فجأة، انقلبت الثورة الموعودة إلى ثورة متسولة!! هل حصل في التاريخ قبل هذا ثورة مستولة؟! تتسول النظام نفسه أن يسمح لها بتغييره؟!

يا قومنا..

- إذا عجزنا عن الثورة فلنستوعب دروسها حتى إذا جاءت لحظة قادمة فعلناها كما يجب أن نفعلها، ولئن متنا فلنورثها لأبنائنا دروسا واضحة ظاهرة تعصمهم من أن يكرروا نفس غفلتنا وأوهامنا وأن يشربوا من نفس كأس الخمر التي سقيت لنا!



إذا عجزنا عن إخراج الأسرى المعتقلين فلنجتهد ألا ندفع إلى السجون بالمزيد منهم بنفس الطريقة التي دخل بها السابقون كأننا نفس الفئران التي تصاد بنفس المصيدة!

إذا أخفقنا لأننا لا نملك الرؤية أو لا نملك القوة أو لا نملك الحلفاء، فلا يليق بنا أن نكرر نفس المحاولة لتتكرر نفس النتيجة ثم نعود فنبكي ونصرخ ونجلد أنفسنا لأننا لم نكن نملك الرؤية أو القوة أو الحلفاء!

في هذا العالم ليس ثمة حلول سهلة، ولا قصيرة، والذي يتحدث عن حلول سهلة إما أنه مخُادِع أو هو نفسه مخدوع، ولسنا أول أمة تُقاوِم الاحتلال الأجنبي أو الحكومات المستبدة، ربما نكون أول أمة تقاومهما معا متحدين في نفس اللحظة، ذلك أن زمن ضعفنا -كأمة- ترافق مع زمن التطور العلمي الذي ربط العالم كله في شبكة واحدة، فنشأ من جملة ذلك وجود نظام عالمي يستطيع بفارق القوة صناعة العملاء وتنصيبهم في البلاد المحتلة وتغطية ذلك كله بأنظمة قانونية وسياسية يملك الهيمنة عليها.

- سنحتاج دائما أن نتعلم ونستفيد من كل حركة مقاومة في التاريخ، كما سنحتاج فوق ذلك إلى ابتكار الجديد الذي يوافق التحدي الجديد المفروض علينا، ومعنا عدة ضخمة كبيرة لا تملكها أي أمة أخرى، معنا موعود الله بأن هذه الأمة لن تباد ولن تستأصل، بل وبأنها ستعود وتنتصر، وبأنها كالغيث فيها الخير المستمر، وبأن الله يبعث فيها المجددين كل فترة من الزمن، وبأنها تضم طائفة الظاهرين على الحق إلى يوم القيامة، وبأنها خير أمة أخرجت للناس، وبأن كتابها ومصدرها المعرفي المقدس وهو القرآن محفوظ في الصدور وفي السطور لا يمكن تحريفه ولا تبديله.

هذه عدة ضخمة عظيمة، ولذلك لا تزال أمتنا تقاوم وتثير دهشة العدو قبل الصديق، وتنبعث من بعد ما يُظَنّ فيها الركود والخمود والخفوت، وتروي وتزدهر من بعد الضعف والذبول، ولا تزال تبدو أكثر الأمم مناعة وإعاقة للتغرب والعلمنة، هكذا يرصدها أعداؤها أنفسهم، ولهذا تمثل كابوسا دائما لهم، وقلقا مستمرا لا يهدأ، وفي أرشيفي دلائل لا أحصيها من كثرتها من تصريحاتهم أو مواقفهم.

ومع هذا فـ: لا تحسب المجـد تمرا أنـت آكله .. لـن تبلغ المجـد حتى تلعق الصبرا
ولو كنت شاعرا لنسجت على منواله بيتا يقول: لن تبلغ المجد إن لم تترك الخمرا



غزة المحاصرة .. عوامل الصمود والثبات

أحمد قنيطة

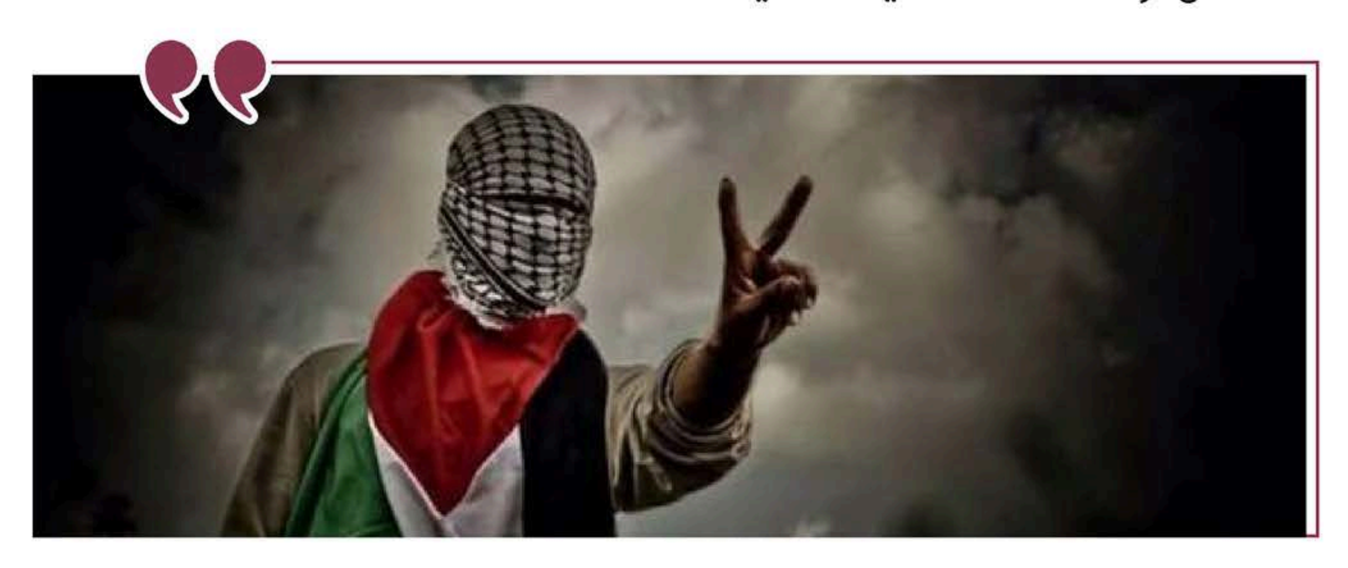
تمر الأيام وتمضي السنون ويستمر الحصار الظالم على غزة لعقده الثاني على التوالي، غارساً خنجره المسموم في ظهور الفلسطينيين وخواصرهم، سعياً في كسر إرادتهم وأملاً في تهشيم صمودهم، ورغبةً في عزل المقاومة الفلسطينية عن حاضنتها الشعبية التي ما كلّت ولا ملّت من بذل الغالي والنفيس في سبيل تحرير المسرى وتحطيم قيد الأسرى، وصبرت وصمدت في دفاعاً عن فكرة الجهاد ومشروع المقاومة، الذي يعد السبيل الوحيد لانتزاع الحقوق والمحافظة على الثوابت واسترداد المقدسات وطرد الغزاة المحتلين.

فقد أيقن الشعب الفلسطيني تمام اليقين بعد ٢٥ عاماً من المفاوضات العبثية، أن الحلول السلمية المزعومة التي انتهجتها سلطة أوسلو لن تجدي نفعاً مع الاحتلال الذي لا يفهم إلا لغة القوة، وأنها لم تقدّم له سوى مزيدٍ من الذل والهوان، بعد أن تنازلت فتح وسلطتها عن ٧٨ % من فلسطين أملاً في الوصول إلى سلام مع الكيان الغاصب، في المقابل ضرب الاحتلال الصهيوني بكل القرارات الدولية "المجحفة" عرض الحائط، ومضى في مشاريع التهويد للمقدسات وابتلاع الأراضي بالمستوطنات، وليس انتهاءً بما يسمى "صفقة القرن" التي كانت بمثابة رصاصة الرحمة التي أطلقتها الإدارة الأمريكية على ما يُسمى بمشروع "حل الدولتين" الذي ما زال يحلم به محمود عباس رئيس سلطة أوسلو.

في المقابل، حققت المقاومة الفلسطينية في تلك الحقبة من الزمن العديد من الإنجازات التي دفعت بالشعب الفلسطيني لاحتضانها والالتفاف حولها والمراهنة عليها، حتى أمدّها بالأبناء وفلذات الأكباد، وجعل من دعمه اللا محدود لرجالها ومجاهديها سياجاً يحميها من كيد المعتدين وخيانة الخائنين وعبث العابثين، أولئك الذين أرادوا أن يمسخوا وعي الشعب المجاهد بأساليبهم الخبيثة وطرائقهم الحقيرة وعلى رأسها "الحصار الصهيوني" و"العقوبات الفتحاوية" التي استهدفت الحاضنة الشعبية للمقاومة، وتركت آثاراً كارثية على تفاصيل الحياة للمواطن الغزي من مأكل وملبس ومسكن ومصاريف الأبناء وحليب الأطفال ودواء المرضى.

المقاومة الفلسطينية في غزة استطاعت الصمود على مدى عقود أمام محاولات العدو كسر شوكتها وتشويه صورتها، حتى تمكّنت بفضل الله من تحرير غزة وطرد جيش الاحتلال ومغتصبيه منها عام 2005م، واستمرت بالقتال وتنفيذ العمليات النوعية ضد جيش العدو ومعسكراته المحيطة بغزة لسنوات، حتى تمكنت من عقد صفقة وفاء الأحرار التي استطاعت المقاومة من خلالها تحرير ١٠٢٧ أسير وأسيرة من الفلسطينيين مقابل الجندي الصهيوني "شاليط" عام ٢٠١١م، ناهيك عن مراكمة القوة العسكرية وتطويرها لتحقيق

نوع من توازن الرعب مع العدو، ما انعكس على الأداء العسكري للمقاومة التي استطاعت قصف "تل أبيب" وحيفا والقدس المحتلة معظمها بصواريخ محلية الصنع، وتسيير الطائرات المسيرة فوق مبنى وزارة الدفاع الصهيونية، وخطف المزيد من الجنود الصهاينة بانتظار عملية تبادل أسرى جديدة، والأهم من ذلك هو تقديم نموذج مميز قابل للصمود والثبات لشعوب الأمة، يبعث فيها الأمل والإرادة أنها قادرة على أخذ زمام المبادرة والعمل على التحرر من الاحتلال والأنظمة القمعية العميلة.



فكيف استطاعت غزة المحاصرة الصمود في وجه الحصار الصهيوني الخانق المستمر منذ ١٢ عاماً، والذي تخلله وقوع ثلاث حروب طاحنة دون أن يستطيع العدو السيطرة على شبرٍ واحدٍ منها؟!

دأبت الحركة الإسلامية في فلسطين - وبالتحديد في قطاع غزة - منذ مهدها على بناء قاعدة جماهيرية صلبة، يمكن الاعتماد عليها والثقة بها لاحتضان مشروع الجهاد وفكرة المقاومة، فبدأت بالعمل من أجل بناء جيل إسلامي فريدٍ، مؤمنٌ بعدالة قضيته، مستعدٌ للتضحية في سبيلها، جيلٌ يرفض الذل والهوان، ويأبى الخضوع والخنوع، ويبذل الغالي والنفيس مهما عظمت التضحيات وتكاثرت الجراح وادلهمّت الخطوب، لذلك كان لا بد من تهيئة المجتمع وتبصيره بعظيم الأمانة الملقاة على عاتقه، قبل الانتقال به إلى غمار العمل العسكري الذي لم تكن الظروف قد نضجت بعد لانطلاقه إلا بعد عام

١٩٨٧م حين أعلنت الحركة الإسلامية في بيانها الأول عن انطلاقة حركة حماس، التي عمل جناحها العسكري تحت مسميات مختلفة حتى عام **١٩٩١م** حين أُعلن بشكل رسمي عن الجناح العسكري لحماس تحت اسم "كتائب الشهيد عز الدين القسام"، إيذاناً بانطلاق العمل العسكري للحركة ضد العدو الصهيوني بهدف تحرير كامل التراب الفلسطيني من الاحتلال الصهيوني، أما قبل ذلك فقد كان التركيز منصباً على العمل الدعوي والاجتماعي والثقافي والتوعوي.

فكانت عوامل الصمود والثبات التي عملت الحركة الإسلامية على زرعها وترسيخها في نفوس وعقول المؤمنين بفكرتها والسائرين على نهجها ترتكز على عدة محاور:



المحور الاجتماعي

أولت الحركة الإسلامية في بدايات عملها التنظيمي اهتماماً منقطع النظير تجاه العمل الاجتماعي بهدف تحسين الوضع الاقتصادي والمعيشي للناس، فكان الإعلان عن تأسيس جمعية المجمع الإسلامي عام **١٩٧٣م** بقيادة الشيخ أحمد ياسين - تقبله الله - وثلة من إخوانه المجاهدين، ثم تأسيس الجمعية الإسلامية عام **١٩٧٦م**، واهتمت الجمعيتان بغرس المبادئ الإسلامية في نفوس الشباب الفلسطيني، وتقديم العون والمساعدة للعائلات الفقيرة من خلال لجان الزكاة المنتشرة في مختلف مناطق قطاع

غزة، وكذلك ركّزت الجمعيتان على الاهتمام بالجوانب الثقافية والفنية والرياضية لملء فراغ الشباب الفلسطيني بالأنشطة النافعة المفيدة، فافتتحت مراكز تعليم القرآن الكريم ومحو الأمية والمكتبات العامة والنوادي الرياضية والثقافية وغيرها.

- تطورت الأساليب والأدوات مع مرور الوقت وأبدعت الحركة الإسلامية في العمل على تقوية أواصر المحبة والتفاهم بينها وعموم أبناء الشعب الفلسطيني على مختلف توجهاتهم، وتجدر الإشارة هنا إلى أن حركة حماس قامت بحملة زيارات لكل بيت في قطاع غزة على اختلاف أفكارهم وانتماءاتهم السياسية بما فيهم العائلات المسيحية عام ٢٠٠٩م تحت عنوان "حملة مودة" استمعت خلالها الحركة لهموم الناس ومشاكلهم وانطباعاتهم، واستمع الناس لها وسمعوا منها، ما أزال الكثير من الغبش والشبهات والتصورات الخاطئة عند الناس عن نظرة الحركة الإسلامية للمجتمع والحياة، وكذلك قامت الحركة بحملة مشابهة خلال شهر أغسطس الماضي حملت اسم "حملة تواصل" استهدفت فيها زيارة تجمعات ودواوين العائلات والعشائر في قطاع غزة في إطار مد جسور التواصل وتعزيز التلاحم والتكاتف مع التجمعات العائلية والمخاتير والأعيان.

المحور العسكري

بدأ نشاط الجناح العسكري لحماس بوسائل المقاومة البدائية "الحجر والسكين والمولوتوف" ثم المسدس والبندقية، فالعبوات الناسفة والمتفجرات، مروراً بالعمليات الاستشهادية، وليس انتهاءً بتصنيع وتطوير الصواريخ وقذائف الهاون والطائرات المسيّرة والصواريخ المضادة للدروع وبنادق القنص والعبوات الناسفة، ناهيك عن الإبداع في الحرب التقنية والهجمات الإلكترونية التي كان أحد أهم ملامحها هو اختراق "سايبر القسام" لحسابات جنود وضباط العدو، والحصول على معلومات أمنية وعسكرية مهمة، كذلك الاهتمام باستحداث قوة بحرية قادرة على إدخال البحر - الذي كان محرماً على المقاومة الفلسطينية في دائرة الصراع مع العدو الصهيوني الذي يمتلك تفوّقاً عسكرياً رهيبًا في هذا

المجال، ومع ذلك استطاعت قوات "الكوماندوز البحري القسامية" تنفيذ عملية نوعية لأول مرة في تاريخ المقاومة الفلسطينية على ساحل عسقلان المحتل بمهاجمة قاعدة "زيكيم العسكرية البحرية".



وعلى صعيد التنسيق العسكري مع الفصائل الفلسطينية، حرصت حركة حماس على تنفيذ عمليات مشتركة مع مختلف الفصائل الفلسطينية، للتأكيد على أن التنافس والاختلاف بين الفصائل على صعيد المواجهة مع الاحتلال هو تنافس شريف واختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد، فكانت العمليات المشتركة بين كتائب القسام وسرايا القدس وكتائب شهداء الأقصى وألوية الناصر صلاح الدين وغيرهم، ولقد كانت عملية "الوهم المتبدد" التي نفذتها "كتائب القسام وألوية الناصر صلاح الدين وجيش الإسلام" وأسرت خلالها المقاومة الجندي "شاليط" الذي كان الورقة الرابحة في صفقة "وفاء الأحرار" هي صورة من أروع الصور التي رسمتها المقاومة للتأكيد على أهمية التوحّد والتفاهم والانسجام بين الفصائل الفلسطينية، وهو ما نتج عنه تشكيل غرفة عمليات مشتركة عام **٢٠١٧م** لمتابعة أحداث المسجد الأقصى، والتي تطوّر التنسيق بينها إلى أعلى المستويات خلال جولات التصعيد المصاحبة لمسيرات العودة وكسر الحصار خلال العامين الماضيين، إذ أصبحت العمليات العسكرية للمقاومة

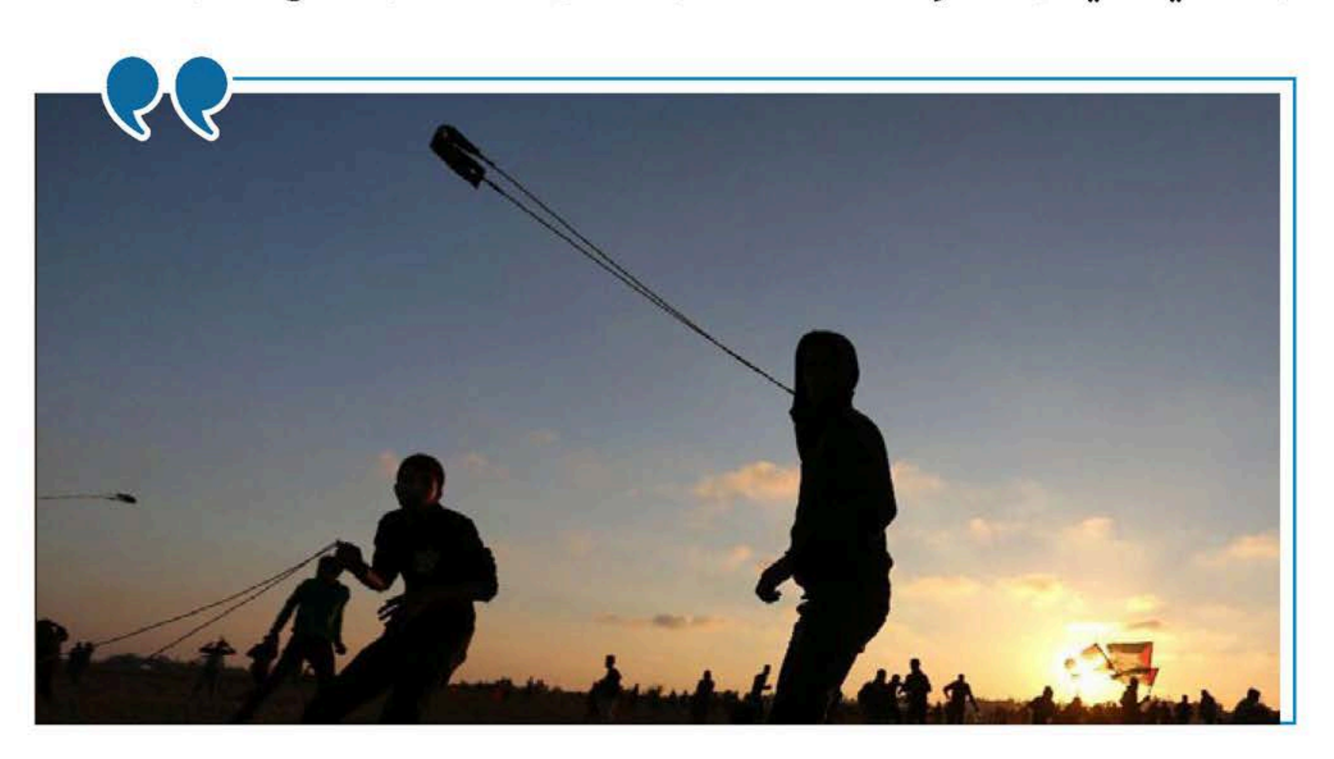
الفلسطينية بتنسيق تام يستند إلى اتفاقية دفاع مشترك لأول مرة، بعد أن كان العدو في السابق يستفرد بكل فصيل على حدة.



المحور السياسي

دخلت حركة حماس معترك العمل السياسي منذ الإعلان عن انطلاقتها، وسعت لمد جسور التواصل بينها وبين القوى المختلفة داخلياً وخارجياً لتشكيل جبهة سياسية قوية، قائمة على دعم فكرة الجهاد ومشروع المقاومة ونبذ الأفكار الانهزامية التي تدعو للحلول السلمية للقضية الفلسطينية، وقد نجحت في محطات وفشلت في أخرى تبعاً لتطور الفكر السياسي ولطبيعة المراحل المختلفة لدى حركة حماس وقادتها، ولكن الحدث الأبرز في النشاط السياسي للحركة هو قرارها خوض الانتخابات البرلمانية عام ٢٠٠٦م والفوز بأغلبية أصوات الناخبين الفلسطينيين، وهو ما أعطاها الحق في تشكيل الحكومة الفلسطينية، وما تبع ذلك من فرض الحصار الدولي الصهيوني على قطاع غزة، وحدوث حالة الانقسام والاقتتال الفلسطيني بين حركتي "حماس وفتح"، والحروب الصهيونية الثلاث التي شنها العدو الصهيوني على قطاع غزة، كل ذلك بسبب رفض المجتمع الدولي والعربي وحركة فتح القبول بنتائج الانتخابات، ودعوتهم حركة حماس للاعتراف بـ "إسرائيل" وقبول الاتفاقات الدولية المرتبطة بالقضية الفلسطينية ونبذ العنف "المقاومة"، وهو ما رفضته حماس جملةً وتفصيلاً.

حاولت حماس بالتشاور مع الفصائل الفلسطينية تشكيل حكومة وحدة وطنية بعد فوزها في الانتخابات لكنها لم تنجح في مساعيها، إما بسبب تعنّت الفصائل ورفضها المشاركة لتوريط حماس، أو بسبب تمترس حماس خلف بعض القضايا؛ كما يرى بعض المراقبين، فقررت تشكيل الحكومة منفردة ظناً منها أنها تستطيع تأدية واجباتها معتمدة على الكفاءات العلمية والشخصيات السياسية المنتمية لها، وهو ما أشار إليه الأستاذ خالد مشعل إبان الإعلان عن الوثيقة السياسية لحركة حماس مؤخراً إذ قال: "أخطأت حماس عندما استسهلت حكم القطاع بمفردها بعد أحداث الانقسام الفلسطيني... وظنت أنه أمر ميسور ثم اكتشفت أنه صعب"، وشدّد مشعل على أنه لا يمكن التفرد بالقرار السياسي والنضالي، والتحدي الذي يُواجه الإسلاميين الآن هو تفعيل مبدأ الشراكة مع الغير.



ولكن تعقيدات المشهد الفلسطيني وتشابك القوى الفاعلة فيه عربياً ودولياً، كان يتطلب من حماس المزيد من الجهد والكثير من العقلانية لإقناع الفصائل بضرورة المشاركة الفاعلة في تحمّل المسؤولية للخروج من حالة العزلة التي فرضتها القوى الدولية والعربية على الحكومة الفلسطينية التي شكلتها حماس، ناهيك عن أن الفصائل أيضاً لم تكن متشجعة للمشاركة مع حركة مصنفة على لوائح الإرهاب الدولي.



ومع دخول القضية الفلسطينية في مرحلة خطيرة وغير مسبوقة؛ يعمل العدو فيها على تصفية ثوابت القضية الفلسطينية من خلال ما سُميّ بـ **"صفقة القرن"** استشعرت حماس والفصائل مجتمعة خطورة الموقف وسعت لإيجاد أرضية مشتركة للحوار والتفاهم والعمل المشترك، ونجحت الفصائل في تشكيل جبهة سياسية موحدة مكونة من جميع القوى الفلسطينية -باستثناء حركة فتح- لمواجهة النزيف المستمر للقضية بسبب عنجهية الاحتلال من جهة، وتفريط سلطة أوسلو من جهة أخرى، وهو ما انعكس بشكل إيجابي كبير على الأداء العسكري والسياسي والإعلامي والجماهيري لفصائل المقاومة.

- كانت هذه إضاءات سريعة على أهم المحاور التي خاضت غمارها المقاومة الفلسطينية في مختلف مراحل الصراع مع الكيان الصهيوني، والتي ساعدتها بعد توفيق الله على الصمود والثبات أمام جبروت العدو الصهيوني وتآمر المجتمع العربي "الرسمي" والدولي، علماً أن هناك محاور أخرى لا تقل أهمية كالعمل الأمني والإعلامي والجماهيري ولكن المقام لا يتسع للحديث فيها.

تخدير الحماس

رفع عتبة اللا مبالاة

منتصر قيسي



حرص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على تعزيز شعور العلياء في قلوب أمته وبناء روح الثقة والمبادرة، فها هو وجرحه ينزف في أُحد وحوله الشهداء والجرحى، يدفع عن المجاهدين اليأس ويدفن مشاعر الضعف في ساعتها، وفي حادثة أخرى بلغت فيها القلوب الحناجر، يوم الخندق يبشر بفتح البلاد والإمبراطوريات، تلك هي سمات التعامل مع مواقف الشدائد وذلك هو التطبيق العملي لقول الله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، والحزن ليس فقط ذلك الذي يقر في النفس إنما ذلك الذي يعلو الوجوه وتبديه الأقوال المرتجفة والندب الصريح.

خلال السنوات الماضية عايشنا أساليب متنوعة يسعى أصحابها بكل الخبث المتوفر على وجه الأرض لتطويق حماس الناشئة المتطلعة للقيم الإنسانية العليا وفي مقدمتها العدل والحرية، ورأينا بعد سنة الربيع في ٢٠١١ بشكل خاص، على أيدي منظري الليبرالية بمشاربها واليسار بعديد أصنافه، وسمعنا على ألسنة المشيخة الإسلامية الحكومية بمعظم تياراتها، وغيرهم من عبيد السلطات وخدم السلطان،محاولات سقيمة تهدف لإعادة الشباب الثائر إلى أقفاص العبودية، وكانت هذه المحاولات في معظمها منظمة مدروسة موجهة مدفوعة بسابق العمد والتصميم، وممولة من الأنظمة والحكومات الفاجرة.

ومع مرور الوقت شكّل الشباب المسلم سداً معنويًا تعجز كل دعوات الخضوع والاستسلام عن خرقه، وتشكلت قناعة عند الأنظمة وأبواقها بأن هذا الشباب الذي امتلك جهازا مناعيا بهذه القدرات لن تنفع معه سوى الإبادة، فصار مألوفا أن ترى كاتبا يدعو لحرق الثائرين بصفة مخربين، أو إعلاميا يدعو لإبادتهم بتهمة الخيانة، وإلى هنا تبدو الأمور مع ثقلها مباشرة وطبيعية، لولا أن طارئا جديدا قفز من داخل صفوف الثورات وبدأ يفتك بالمعنويات من الداخل.

فبعد انكسارات منيت بها الشعوب، وتبدلات في موازين القوى وتحولات في مسار المعركة، بت ترى وتسمع اعتياديا من حملة المنهج الثوري، ودعاة الحرية والكرامة أصنافا من العويل والنواح على شاكلة "هذه الأمة تحتضر"، "المسلمون ميتون"، "شعوب نائمة نائمة" وما شابه هذه العبارات، وغالبا ما تأتي هذه الكلمات مرفقة بصورة أو مرئية من مآسي المسلمين في الصين أو الهند أو سوريا.

لقد طالعت خلال تصفحي لمواقع التواصل بشكل خاص العديد من هذه النماذج، ولم أكن أستغرب، إنما استفزني لسطر هذه الكلمات أن بت أرى شخصيات مرموقة ولها أتباع تنزلق إلى هذه المسالك، وآخرهم متخصص في علم الحديث.

ومع أنني على يقين أن هذه الكلمات لا يُخرجها إلا حرقة القلب، إلا أن ذلك لا يبررها ولا يعطيها صك الصحة، بل هي ردة فعل سلبية تُشعر بانهيار معنويات المنادي بها وتُعلم بانكساره النفسي.

والإشكالية في هذا الخطاب تتمثل في أمرين، الأول أن هذه الادعاءات باطلة بذاتها، فالأمة وإن كانت تعيش هذه الحالة المؤسفة والقهقرى العاصفة، فإنه ومن غير ريب أن سببًا من أسباب هذه الحالة تفشي حس الجهاد في صفوف شبابها والصحوة العارمة التي حطمت أوثانا فكرية جثمت طويلا على صدورنا، ولو داهنت الأمة، بل لو قبلت بعروض النظام العالمي ورضخت لتطلعاته التي انخفضت حتى صارت أشبه بالعرض القرشي القديم، نعبد إلهكم عاما وتعبدون إلهنا عاما، لما تغول الأعداء ولا احتدت المعركة.

والأمر الثاني وهو الخطر الذي لا يجب أن يخفى، أن هذه الادعاءات خاصة مع تكرارها الممنهج تلقي على القلوب الحسرة والتعاسة، وتحطم مشاعر الحماس وتنمي العجز في النفوس، إذ إنها ترفع عتبة اللا مبالاة لدى عموم المهتمين بأمر المسلمين، فيصيب الشباب تبلد في رد الفعل، خاصة أولئك الذين يحملون هموم أمتهم على عواتقهم المتعبة.

وتـراكـم الشعـور بالضعـف وتعـزيز الشلل بهـذه العبارات والادعاءات يؤدي بالكثيرين إلى حالتين متطرفتين، فإما أن يتقوقع الشباب المؤمن على أنفسهم منتظرين خروج المهدي أو غير منتظرين خارجين من معادلات الصراع، أو ينسلخوا عن مبادئهم خارجين من دائرة الانتفاع بهم.

"الوصف والسمعة في الحروب على قدر كبير من الأهمية، فيتوجب إذن ألا نتبنى خطابا متهافتا يزيدنا إرهاقا وتعبا، يقول الكاتب روبرت جرين في كتابه قواعد السطوة: القاعدة الخامسة: السمعة عماد السطوة فدافع عنها باستماتة، سقوط السمعة يعرضك للهجوم والضربات من كل جانب."

في العديد من الدول والمنظمات، يعد هذا النوع من الخطاب جرما بحق القضية يستوجب العقوبة التي قد تصل إلى الإعدام، لطالما سمعنا عن اتهامات تحت مسميات إضعاف الشعور القومي، بث الوهن في روح الأمة، اهانة التضحيات وهلمّ جرّا.

وبعد هذا التطواف في الموضوع فإني أناشد المتربصين حتى ساعة الإذن بالفرج، الحريصين على رؤية النصر يعم بلاد المسلمين، المتأهبين لسد الثغرات المتفتقة، المنتظرين أن ترفرف رايات التوحيد والعدل في سماء الأرض، بشروا ولا تنفروا، ركزوا على الايجابيات في أحاديثكم العامة وناقشوا السلبيات في الأحاديث الخاصة، انشروا أخبار الصمود والبطولات التي ما زالت تقدمها الأمة، بعض الأمم تخترع أبطالا أفلا نبحث نحن عن أبطالنا الحقيقيين، لا تكتفوا بالحديث الجاف عن بطولات الصحابة الكرام بل تحدثوا عن بطولات المجاهدين اليوم واصنعوا من أسماء بعضهم أيقونات ومنارات، كونوا بحجم المهمة التي أوكلتم بها منذ بدء الخليقة، وبحجم التحدي المفروض عليكم، ولا تسمحوا لليأس بالتسرب إلى أعماقكم من أي باب كان، لا تسمحوا لمن يريد حقنكم بالمخدر أن يفعل، ولا تسمحوا لمن يريد العبث بشعوركم أن يفعل، فهذه الأمة حية وعنها قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أو آخره"**.

آسام..
قصة شعب منسي

صبغة الله الهدوي

لم تزل كشمير تفور وتثور، ولم يزل شبح البطالة والفاقة يخيم فوق الملايين ويخنق مستقبلهم ويطحن حاضرهم، ولم يزل العنف والاعتداءات العنصرية تتصعد وتتزايد ، ولم يزل الشباب يتيهون في الأرض بحثا عن الفرص التي تبهج زهرة حياتهم، لكن كل هذه الأوضاع الحرجة لم تقض مضاجع الحكومة الهندية ولم تحرك ساكنهم ولم تزل في نومتها العميقة ، حتى عادت مجددا بإثارة قضية أخرى ساخنة حساسية، هي قضية أن آر سي، التي هي عبارة عن تسجيل المواطنين الذين سكنوا في ولاية آسام (يتعين على سكان الولاية ثلثهم من المسلمين تقديم وثائق تثبت أن أسلافهم كانوا هنودًا قبل قيام بنغلاديش ١٩٧١)، متذرعة بهذه الحركة المروعة إبادة المسلمين ونفيهم وزجهم في معتقلات قسرية هي أشبه بزنازين هتلر المعروفة ببربرية التعذيب، وتزامنت هذه الحركة المأساوية من قبل الحكومة مع الوضع الذي نراه ونشهده في ولاية كشمير، من قمع وبطش واعتقال وتنكيل، وقد قذفت هذه الصور المفزعة رعبا وذعرا في قلوب هؤلاء الباحثين عن الحياة، المضطرين إلى إثبات هويتهم كلما مروا جنوبا أو شمالا، فبعد كشمير يتجه المتآمرون نحو ولاية آسام الهندية، ليعكروا صفوها وليفرقوا شملها.

موقع آسام الجغرافي

تقع ولاية آسام بأقصى شمال شرق الهند، تحدها شمالا دولة بوتان وغربا بنغلاديش، وتجاورها كل من ولايات بنغال الغربيي، وميزورام، وتربارا، وناجلاند.

السجل الوطني وخيط المؤامرة الطويل

في اللحظة التي يقف فيها الحزب الحاكم بهارتيا جنتا متأهبا لكل الألاعيب السياسية لتغطية الثغرات التي لاحقته في الأشهر الماضية القريبة، نجد صمتا رهيبا مخيفا من قبل الأحزاب المعارضة القيادية، حتى الكونجرس قد نسي أولوياته وانشغل بالمشادات الكلامية التافهة، وحتى الأحزاب اليسارية قد ذابت ثورتها فانسحبت من الميدان لتقنع بالتصريحات الصحفية والشعارات الجوفاء، بل اضطرت قيادات الأحزاب المسلمة العلمانية إلى سكوت لازم، وهُمشت في السياسة الهندية، فالمشهد السياسي الهندي يسوده الخوف والهلع، ولا نجد أحدا يفتح باب النقاش حول هذه القضايا التي تُعرض حياة الملايين في مهب الرياح العاتية.

إذن ما هي أن آر سي، التي أصبحت كابوسا لأولئك الملايين الغرباء في وطنهم؟ هي سجل يشمل أسماء المواطنين الذين يمكنهم إثبات قدومهم إلى ولاية آسام الهندية قبل يوم **٢٤ مارس ١٩٧١** ، وهو اليوم الذي سبق إعلان دولة بنغلاديش استقلالها عن باكستان، وأما الذين لم يشملهم السجل فعليهم أن يظهروا هويتهم الهندية أو أن يدخلوا في المعسكرات بعيدا عن أطفالهم وذويهم حتى يُبت في أمرهم، والأسوأ في هذه القضية أن بهارتيا جنتا يتعامل مع هذه القضية معاملة المنتقم ولم يتخذ قرارا منصفا بشأن المئات الذين عاشوا وخدموا الهند سنين طويلة، منهم من خدموا في الجيش الهندي، ومنهم من تولوا مناصب حكومية عالية، ومنهم من سلالة وزراء الهند السابقين، حتى لم ينصف هذا السجل الوطني يا ليته وطنيا أقرباء رئيس وزراء الهند السابق فخر الدين علي أحمد[١].

---

[١] سياسي، ولد في نيو دهلي، وانضم إلى حزب المؤتمر الهندي الوطني(كونجرس)، وأصبح رئيس الهند لفترة **١٩٧٧-١٩٧٤**.



جاءت حملة توثيق الجنسية تحقيقا لطموحات المنظمات الهندوسية المتطرفة للسيطرة على مناطق المسلمين وشيطنة هويتهم وابتزازهم بهذا الشبح المخيف، والذي يزيد شراسة هذه الحملة رعبا وتهديدا ما يحمل المتهمين باللجوء غير الشرعي مسؤولية توضيح هويتهم من خلال اثني عشر طريقا فيتوجب عليهم أنفسهم أن يكشفوا جنسيتهم وأصولهم الهندية بدلا من أن يتحمل ذلك الذين طرحوا التهم عليهم، فإن استطاعوا ببعض الطرق لم يغن عنهم شيئا بل يبقون في مرتبة اللاجئ غير الشرعي أو الناخب المشتبه به، فإننا لو بحثنا أصول هذه الأزمة سنجدها راسخة في أجندة بهارتيا جنتا، إذ إنه الذي قلب الحقائق رأسا على عقب وفرض معايير جائرة ليتسنى له ارتكاب الإبادة الجماعية الصامتة، أحقا هؤلاء كانوا فوضويين حتى تطردهم الحكومة من أراضيهم، أم كانوا جواسيس بنجلاديش حتى يحاصرهم بجيوش لا رحمة فيها، فتاريخ هؤلاء الألوف المؤلفة يعود إلى ما قبل استقلال بنجلاديش من باكستان، حيث التزموا بأرضهم ولم يقتنعوا بالرجوع إلى بنجلاديش وطنهم الجديد، بل عاشوا في أراضيهم وأراضي أجدادهم.

إذن فما هي الغاية القصوى التي تبتغيها الحكومة الهندية من وراء هذا الستار المسدل؟

"إنه استفزاز مشاعر المسلمين وابتزازهم فحسب، إذ نرى قرى الهندوس في مأمن من هذه الضجات رغم أنها أيضا في هذه الورطة، لكن تغيرت بوصلة الحكومة عنهم، بل حاولت تبييضها وتجنيسها بجنسية الهند، فما هذا التناقض الفج في قضية وطنية عامة وعارمة؟ بينما يظل إخوانهم من الهندوس في أمن وسلام لا يتعكر صفوهم تهديدات حكومية ولا تزعجهم تلك الخطابات البارودية في الوطنية وتاريخ الهند؟ وعلى نفس المنوال عندما تتعرض تلك المناطق المسلمة لكوارث طبيعية من الفيضانات والانهيارات الأرضية وتتكبد خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات تتقاعس الحكومة، فلا حظ لهم في الإغاثة والمواساة، فأصبحت عرضة للإهمال والإعراض المقصود من قبل الحكومة مما يبين لذوي العقول حقيقية هذه الأزمة الجديدة المصطنعة."

الإسلام في ولاية آسام

ربما يجهل الكثير منا أن الإسلام هو الديانة الثانية بعد الهندوسية في ولاية آسام؛ بل هو الديانة الأكثر نموا وارتقاء في تلك المنطقة الشرقية الهندية، حيث يشكل المسلمون فيها نسبة 34 في المائة، لتكون في الدرجة الثانية بعد كشمير في عدد السكان المسلمين، بل يوجدون في بعض المحافظات وجودا قويا كما في محافظات باربيتا، ودارانغ، وهايلكاندي، مما جعلها تحت تهديدات بهارتيا جنتا لتشعل فيها صراعات عنصرية دموية كما شهدت في مجزرة نييلي [٢] التي حدثت عام **١٩٨٣ م** حيث سقط ثلاثون ألف مسلم شهيدا في تلك المجزرة الدموية الشرسة، ومما يجعل وضعها قاسيا وشرسا هو اجتماع الملل المختلفة ضد المسلمين، من البوذيين والهندوس وغيرهم من أصحاب القبائل، حتى اتفقوا على هذه الصفقة الجائرة بهدف النيل من المسلمين وللاستيلاء على أراضيهم الزراعية الآهلة.

[٢] مجزرة نيلي من أبشع المجازر التي شهدتها الهند في الثمانينات، حيث راح ضحيتها مئات من المسلمين، وذلك إثر قرار إندهرا غاندي بمنح حقية التصويت للمسلمين الذين انحدروا من أصول بنجلاديشية

رغـم كـل هــذه التهم اللاذعة التي وجهت نحو مسلمي آسام، ورغم هذه الحملة التشكيكية المتعصبة للمصالح الهندوسية ظل المسلمون يلتزمون الهدوء والسكون حتى في هذا الجو الصاخب، ويسعون في إثبات هويتهم العريقة أمام المحكمات الخاصة التي فتحت من أجل هذه القضية، والأمر الذي قلب السحر على ما نقلته بعض المصادر أن السجل الأخير يشكل خطرا كبيرا للهندوس أكثر من المسلمين، إذ تضمن السجل الجديد معظم المسلمين الذين كانوا في ظلال الشك بشكل قانوني، بينما أخرج السجل ذاته آلافا من الهندوس الذين دخلوا الهند مستغلين بلبلة المنطقة في فترة الحروب بين باكستان وبنجلاديش، وظهر هذا الخبر صادما لطموحات بهارتيا جنتا في خطته المرسومة لبث الرعب في قلوب المسلمين بين الحين والآخر، فلم يبرح يثير فتنة تتلوها أخرى، لتنسدل الستائر على التعثرات التي يقع فيها.



" ولكن الأخطر في هذا الأمر أن بي جي ب[٣]وأذرعته المتطرفة من آر أس أس[٤]وفي أتش في، كلها تطمح إلى دولة خالية من الأديان السماوية، فإنه لو عدنا إلى السبعينات التي تحكي عمق بشاعة هذه الأزمة والتي ترسم لنا الصورة الواقعية لخلفيتها الغامضة يتضح لنا أن بهارتيا جنتا لم يك في فترة من التاريخ من حامي وطنية الهند ولا هو كان من مرابطيها الأوفياء، حيث إن حزب آسام غانا فرشت[٥]الذي يتبنى فكرة متطرفة خطيرة كان في مقدمة الفوضويين في عصر إندرا غاندي حتى أشعل أتباعه فتنة كبيرة في عصرها بل اجترؤوا على نعت موكب إندهرا الذين جاءوا ليرفعوا علم الهند في يوم الاستقلال بأنهم كلاب الهند الضارية، ثم تغير وانقلب هذا الحزب واستدفأ في أحضان بهارتيا جنتا، وفي ظلال هذه الأحداث والحقائق التاريخية نستشهد بأن هذه الأزمة إنما هي وليدة فكرة متعصبة جاءت ليعمق خندق الخلاف ويصطاد في الماء الكدر. "

سياسة العنف وبث الذعر

يتضح لكل من يتتبع أحداث الهند الأخيرة أن الحكومة الهندية تستهدف المسلمين بالذات تضييقا وتطويقا، وتمارس سياسة العنف وبث الذعر، ولا تدخر جهدا منذ اعتلائها عرش الهند في سبيل استهداف المسلمين وفي تقليل شأنهم ومكانتهم في نظر العالم، وقد نجحت في تعتيم هذه العمليات الشنيعة التي ترفض الحقوق الإنسانية بستار الوطنية ومحاربة الفوضويين، بل استطاعت تهميش الأحزاب القيادية المعارضة حتى لا تتدخل في هذه القضايا المتأججة، الأمر الذي جعل بهارتيا جنتا في قمة الحماسة هو التقاعس الصريح والاستسلام المطمئن الذي أبدته هذه القيادات المعارضة، ولا غرو لو قلنا إن ظاهرة الوطنية هي السلاح الأكبر والأخطر الذي اخترعه صناع الهند الحديثة، وبها يقتل الشعب وبها يحيى.

---

(٣) الحزب الحاكم في الهند، والذي يتبنى ويسعى إلى تقوية الهندوس وإقصاء المسلمين من حميع أبعاد السياسة الهندية، تأسس عام ١٩٨٠م

(٤) الذراع اليمني لحزب بهارتيا جانتا، وتدعي أن الهند دولة الهندوس فحسب وعلى المسلمين النزوح إلى باكستان أو اعتناق ديانة الهندوس

(٥) تم تأسيس هذا الحزب عام ١٩٨٥ وحصد شعبية كبيرة في ولاية آسام، ويتبنى فكرة أن آسام للآساميين فحسب ليخوض في صراع دام مع المسلمين

مادة حصرية



مذكرات الشيخ رفاعي طه (١٩)

من مؤسسي الجماعة الإسـلامية المصـرية

سجلها عنه وحررها:
محمد إلهامي

أقمت معسكرا للتأليف بين الإخوان والجماعة الإسلامية وفشل!

- أعددنا محاضرة عن الأخلاق والروحانيات لكن الشيخ جعلها لتجريح الإخوان!
- أطلق الإخوان شائعة تقول إن ناجح إبراهيم عميل لأمن الدولة وإن تنصيبه أميرا مؤامرة أمنية تستهدفهم
- عُرفت في داخل الجماعة الإسلامية بأنني الأقرب للإخوان المسلمين

لقراءة الحلقات السابقة

(٩) كنا البديل لما لا يعجبنا
(١٠) أخفقت خطة إقامة الدولة الإسلامية
(١١) انكسار الأحلام في حرب أكتوبر
(١٢) انضمامي لليسار
(١٣) قصتي مع اليسار في الجامعة
(١٤) بيعتي للشيخ السماوي
(١٥) بداية زعامة صلاح هاشم
(١٦) محاولة الإخوان الهيمنة على جامعة أسيوط
(١٧) كيف صار ناجح إبراهيم أمير الجماعة الإسلامية؟
(١٨) الانشقاق بين الإخوان والجماعة الإسلامية في أسيوط

كما ذكرنا في الحلقة الماضية حاولنا إقامة معسكر بين شباب الإخوان وشباب الجماعة الإسلامية لمحاولة التقريب والتآلف ولئلا يتحول الكيانان إلى التضاد أو التزاحم في العمل الدعوي بالجامعة، وكنتُ أمير هذا المعسكر والمسؤول عنه، ووضعت برنامجه بشكل نبتعد معه تماما عن ذكر الخلاف الذي وقع وأدى إلى هذا الانشقاق بيننا، بل نبتعد عن ذكر الجماعتيْن كليهما لا بالخير ولا بالشر، واقتصر البرنامج على المحاضرات في الموضوعات الشرعية والمعاني الروحية والأخلاقية، وجعلنا نصف المحاضرين بالبرنامج من المحسوبين على الإخوان، ونصفهم الآخر من خارج الإخوان.

ولكن وقع المحظور.. وقع على يد الشيخ محمد الصويفي!

ذكرتُ فيما سلف قصة الشيخ الصويفي وأنه كان يبغض الإخوان، ورتبنا له محاضرة عن قصة أبي حازم مع سليمان بن عبد الملك، وهي قصة مؤثرة في الزهد والأدب والرقائق، وكان الشيخ الصويفي بديعا إذا حكاها، يأسر بها القلوب، فجعلناها موضوع محاضرته لنستثمر موهبته فيها ونظلل المعسكر بجوٍّ من الإخاء والزهد الذي يقطع التنافس والشحناء بين الشباب المسلم.

وللقصة عدد من الروايات والمقاطع المتفرقة، ولكن جمعها بعض الشيوخ في كتب الزهد، وهي تروي أن سليمان بن عبد الملك -الخليفة الأموي- ذهب من دمشق إلى الحج، فمرَّ بالمدينة، فطلب أن يأتيه أحد من علمائها الذين أدركوا صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، لينصحه ويعظه، فدلُّوه على أبي حاز.

فأرسل إليه فجاءه، فقال سليمان: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين وأي جفاء رأيت مني؟

قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني.

قال: إن الناس لما كانوا على الصواب، كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء، وكانت العلماء تفرّ بدينها من الأمراء، فلما رأى ذلك قومٌ من أذلة الناس تعلموا العلم وأتوا به إلى الأمراء فاستغنت به عن العلماء، واجتمع القوم على المعصية فسقطوا أو تعسوا أو تنسكوا، ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم، لم تزل الأمراء تهابهم.

قال سليمان: يا أبا حازم، مالنا نكره الموت؟

قال: لأنكم خرَّبتم الآخرة وعمَّرتم الدنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: ليت شعري، كيف القدوم على الله غداً؟

قال: أما المحسن فكالغائب يقدُم على أهله، وأما المسيء فكالعبد الآبق يقدم على سيده ليعاقبه.

فبكى سليمان حتى علا نحيبه وقال: يا أبا حازم، ما لنا عند الله؟

قال: اعرضْ عملك على كتاب الله.

قال: وفي أي مكان أجده في كتاب الله؟

قال: قال تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)

قال سليمان: فأين رحمة الله؟

قال: فإن رحمة الله قريب من المحسنين.

قال سليمان: يا أبا حازم أي عباد الله أكرم؟

قال: أهل المروءة والنهى.

قال سليمان: فأي الأعمال أفضل؟



قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم.

قال: فأي الصدقة أفضل؟

قال: للسائل البائس، وجهد المقل ليس فيها منٌّ ولا أذى.

قال: ما أعدل العدل؟

قال: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه.

قال سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك؟ قال أبو حازم: أعوذ بالله. قال سليمان: ولمَ؟ قال: أخشى أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا يكون لي منه نصيرا.

قال: يا أبا حازم ارفع إلي حاجتك.

قال: نعم، تدخلني الجنة، وتخرجني من النار.

قال: ليس ذاك إلي،

قال: فما لي حاجة سواها.

قال: يا أبا حازم فادع الله لي.

قال: نعم، اللهم إن كان سليمان من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان من أعدائك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.

قال سليمان: فقط؟!

قال أبو حازم: قد أكثرت وأطنبت إن كنت أهله، وإن لم تكن أهله فما حاجتك أن ترمي عن قوس ليس لها وتر؟!

قال سليمان: يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه؟

قال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟

قال: بل نصيحة تلقيها إلي.

قال: إن آباءك غصبوا الناس هذا الأمر، فأخذوه عنوة بالسيف من غير مشورة ولا اجتماع من الناس، وقد قتلوا فيه مقتلة عظيمة، وارتحلوا، فلو شعرت ما قالوا وقيل لهم!

فقال رجل من جلسائه: بئس ما قلت!

قال أبو حازم: كذبت، إن الله تعالى أخذ على العلماء الميثاق (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) [آل عمران: ١٨].

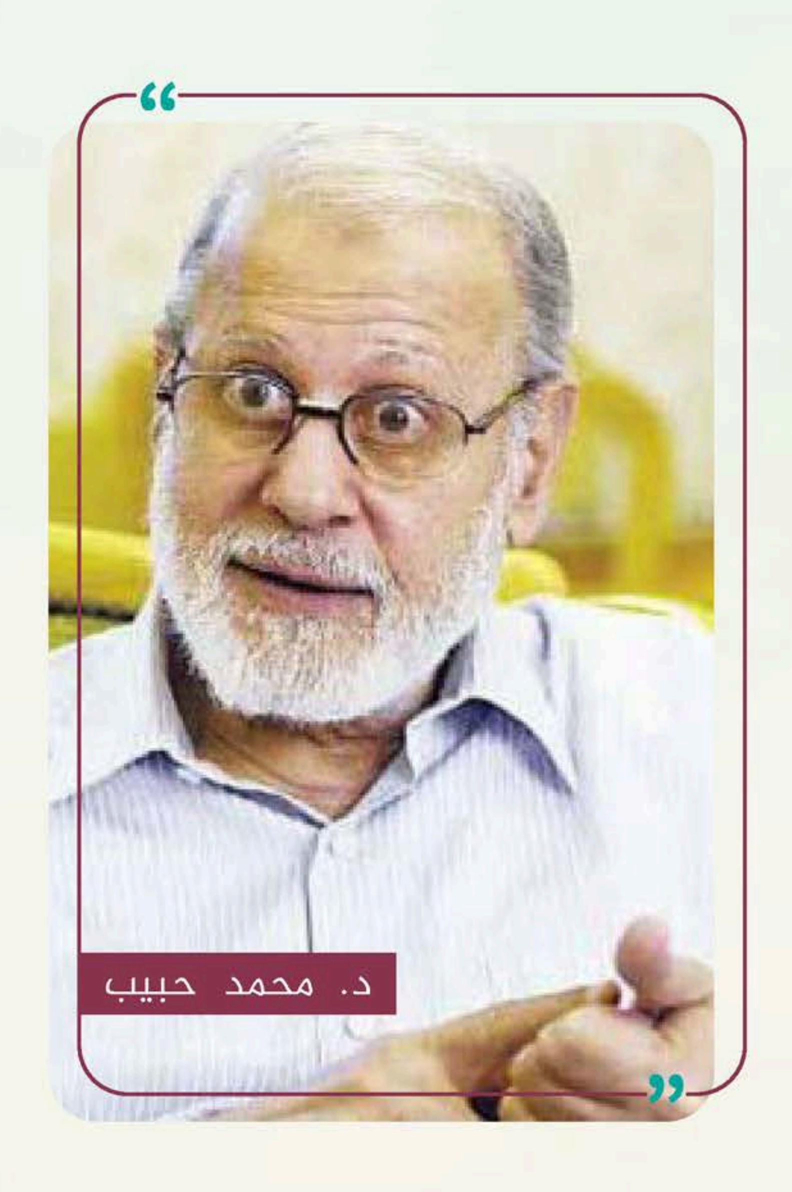
قال سليمان: يا أبا حازم أوصني، قال: نعم سوف أوصيك وأوجز: نَزِّه الله تعالى وعَظِّمْه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك.

ثم قام، فلما ولى قال: يا أبا حازم هذه مائة دينار أنفقها، ولك عندي أمثالها كثير، فرمى بها أبو حازم وقال: والله ما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي، إني أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلا وردي عليك بذلا.

هذه قصة أبي حازم مع سليمان بن عبد الملك، قصة تنقلك من جو الدنيا إلى ظلال الآخرة، ومن شحناء التنافس إلى كرم البذل، ومن التباغض والتحاسد إلى المودة والإخاء. وفوق ما في هذه القصة من العبر فإن الشيخ الصويفي قد اشتهر بها، يحكيها فيتوقف ويشرح، يخلب العقول ويسحر القلوب، قد كان موهوبا رحمه الله وغفر له.

" ثم إن فيها ما يمس أمر الحكام والعدل في السياسة والمال، ويمس شأن العلماء مع الحكام، وفي اختيارنا لهذه القصة صرف له هو نفسه عن شأن الإخوان المسلمين أيضا، فقد كان كثير التعرض لهم والتعريض بهم. "

كانت محاضرة الشيخ الصويفي بعد صلاة المغرب، ولكنه وصل قبل المغرب بكثير، وقمت لاستقباله بصفتي أمير المعسكر، إلا أنه حين دخل نظر فوجد د. محمد حبيب (وهو من قيادات الإخوان كما هو معروف) يلقي درسا على شباب المعسكر، فنسي ما جاء لأجله وتلبسه شيطان الهجوم على الإخوان، وأخذ يتكلم بصوتٍ عالٍ يريد بذلك إفساد المحاضرة، سأل بهذا الصوت: من هذا الذي يتكلم هناك؟


د. محمد حبيب

كان يــراه ويعرفه، ولكنه يبدأ اشتباكا، فقلت له أخفض صوتي، وأحاول إلزامه خفض الصوت: هذا الدكتور محمد حبيب يا مولانا!

أكمل بصوته العالي وبنبرة ساخرة: آها، قد طالت لحيته، وصار سمينا مليحا!!

حاولتُ أن يصمت: يا مولانا لا داعي، لا شأن لك به..

إلا أنـه واصـل بصوتـه المرتفـع: ولماذا تأتون بالإخوان ليحاضروكم، وما الفارق بين الإخوان والتكفيريين، هؤلاء مثل هؤلاء، هؤلاء عندهم بيعة وهؤلاء عندهم بيعة..

قاطعته وأكاد أتميز من الغيظ وأحاول بخفض صوتي والجزّ على حروفي وزمّ شفتيّ أن ألزمه بخفض صوته، **قلت: يا مولانا هذا المعسكر غرضه التصالح والتآلف والإخاء...**

ولما كان هذا الكلام كله مسموعا للدكتور حبيب، وبدأت الغمغمات والهمهمات تسري والأمر يتوتر، أسرع د. حبيب في إنهاء محاضرته، وختمها سريعا، وقد كان ينبغي أن يختمها قبل المغرب بنصف ساعة لنتهيأ لأذكار المساء، ولعله شعر أن التشغيب عليه مقصود.

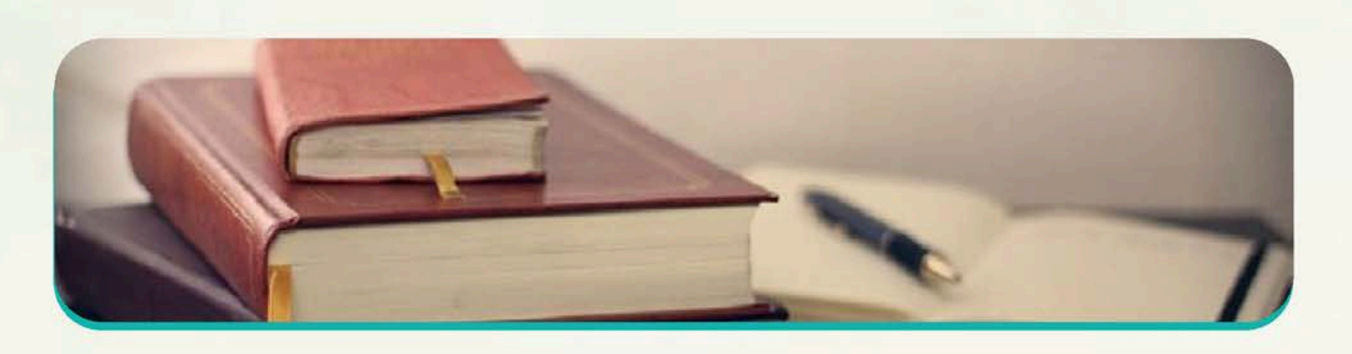
تداركنا الموقف سريعا، صار لدينا وقت فراغ قبل الأذكار، ثم جاءت محاضرة الشيخ الصويفي بعد صلاة المغرب، وإذا به ينسى المحاضرة وموضوعها، ويسيطر عليه شأن الإخوان، فانقلبت محاضرته ذما وتجريحا في الإخوان، وكان فيها عنيفا جموحا!

هببت واقفا أريد الرد عليه، ولأعلن في الجميع أن كلمة الشيخ الصويفي لا تعبر عن المعسكر، وكان هذا في زماننا من أسوأ الأدب ومما لا يُتوقع مع المشايخ، فأمسك بي أسامة حافظ وهدأني وقال لي همسا: لو قلتَ هذا فلن تكسب الإخوان ولكن ستخسر الصويفي، اصمت الآن، واتركنا نعالج الموضوع بحكمة، سننتظر بعد محاضرته ثم سأتكلم بعده وأقول ما يعالج الموقف، وإذا لم يعجبك قولي قُمْ فردَّ علي أنا، فوافقته على هذا.

- قام أسامة بعدما أنهى الشيخ محاضرته وقال: نشكر الأستاذ الشيخ الصويفي، وذكر كلاما بهذا المعنى، ثم قال: والواقع أن عنوان المحاضرة الذي أعددناه للشيخ كان كذا وكذا، وكنا نودّ لو أتحفنا بالحديث في هذه القصة، ونحو هذا الكلام، ثم قال: كلام الشيخ الصويفي لا يعبر عن المعسكر ولا عن القائمين عليه، ووجهة نظر المعسكر أن إخواننا في الإخوان هم أحبابنا وثلاثة أرباعهم هنا معنا، وقال كلاما بهذا المعنى.

قال أسامة نفس ما كنت أريد قوله إلا أنه كان أكثر هدوءا وإمساكا للعصا من المنتصف وأحب إرضاء جميع الأطراف، وعلى هذا انتهى المعسكر، ولكن أصبحتُ معروفا داخل الجماعة الإسلامية بأنني أقرب إلى جماعة الإخوان المسلمين.

وبهذه المحاضرة أخفق المعسكر في هدفه "التأليف والتقريب"، فلو أني أعطيت نسبة لنجاحه في هذا الهدف فلن يكون إلا ١٥ % أو ٣٠ % في أحسن الأحوال، ثم تزامن هذا مع إشاعة ضخمة أطلقها الإخوان تقول بأن ناجح إبراهيم يعمل مع أمن الدولة، وأن تنصيبه أميرا للجماعة الإسلامية في الجامعة إنما هو مؤامرة من أمن الدولة لضرب الإخوان في جامعة أسيوط، وصَوَّروا ما حدث من إعادة الانتخاب على هذا النحو، والحق أن الشيخ ناجح إبراهيم ساعتها كان رجلا تقيا ورعا زاهدا لا يمكن أن يكون عميلا لأمن الدولة، لكن تلك عادة للإخوان.



وبالمناسبة، حتى الآن[1]، لا أرى أن الدكتور ناجح إبراهيم عميلا لأمن الدولة أو ما شابه، هو صاحب رأي وإن اختلفتُ معه، ولا أظن أنه يعمل لهم أو معهم، له وجهة نظر تختلف معها.

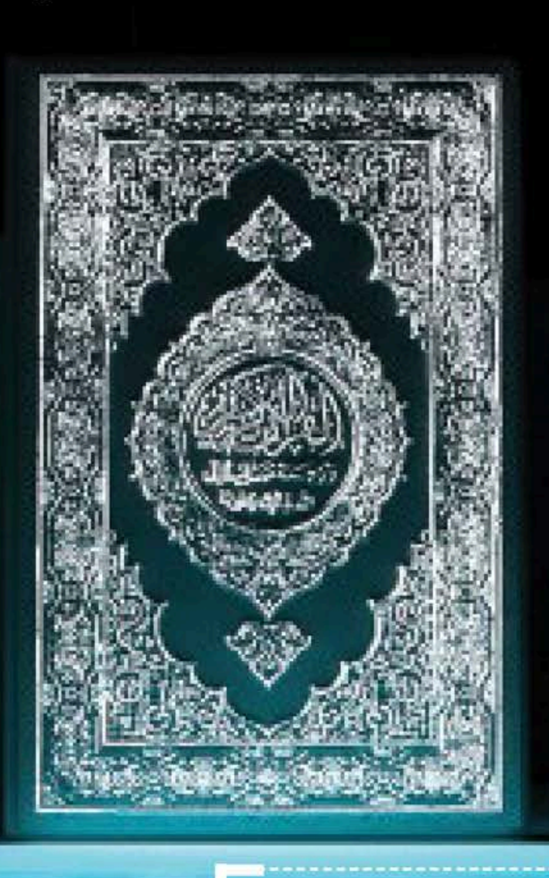
كان هذا المعسكر في شهر مايو ١٩٧٨ ، في ذات العام الذي فاز فيه عادل أسعد الخياط برئاسة اتحاد الطلاب، وكان لهذا الاتحاد انطلاقة ضخمة في العمل الدعوي بالجامعة، أما بقية هذا الفصل الدراسي فلم يكن الوقت الضيق قبيل الامتحانات يسمح بنشاط طلابي، لكن الإجازة الصيفية كانت إجازة عامرة حافلة بالنشاط الدعوي. نتناولها في الحلقة القادمة إن شاء الله.

---

[1] سجلت هذه المذكرات عام ٢٠١٥ م.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)



قواعد شرعية حاكمة

للنظر في الحراك المصري

د. وصفي عاشور أبو زيد

الحراك الذي يجري في مصر الآن سبتمبر ٢٠١٩ م بين أجنحة النظام في مصر ضد السيسي ونظامه ينبغي أن نضبطه بالنظرة الشرعية العاقلة الهادئة، فهناك من يقول إن أي حراك في هذه الفترة فتنة، والدعوة إليه تخريب، والمشاركين فيه خونة!! .. إلى آخر هذه القائمة التي تصرح بها مؤسسات الدولة الدينية مثل وزارة الأوقاف على لسان وزيرها الانقلابي مختار جمعة، وبعض الذين يهللون لكل نظام يأتي أمثال خالد الجندي، وبعض المنتسبين للتيار الإسلامي زورا أمثال ياسر برهامي وحزب النور "السلفي"؛ فضلا عن جوقة الإعلاميين المهللين الذين يسيرون في ركاب الدولة الفاسدة القاتلة.



ومنهم من يريدون ثورة عارمة تقتلع الأخضر واليابس، وتطهر مؤسسات الدولة، وتبنيها من جديد، وتقوم بالقصاص الشامل للدماء والأرواح، والانتقام للعذابات المتراكمة والتي أصبح لكل قرية في مصر ثأر مع نظام الانقلاب ورئيسه وعصابته، وأن يمكّن الشعب من اختيار من يمثله ويحكمه، وأن تسود الحريات المنضبطة، والعدالة الاجتماعية والأمن الاجتماعي .. كل هذا مرة واحدة ومن أول الأمر.

ومما لا شك فيه أن **الرأي الأول** رأي الساعين في ركاب المجرمين، الذين تربطهم به مصالح، وبعضهم يخشى بطشة النظام المجرم، فيعمل على تسويغ أفعاله تحت راية محاربة الإرهاب، ولا أظن أنهم يخفى عليهم ظلم النظام وتجاوزه في النواحي جميعا، هذا إن أحسنا الظن يهم!.



وأما الـرأي الثـانـي فهو حق وصدق لكنه ليس واقعيًّا ولا عمليًّا، وينافي طبيعة الأمور، ويصادم سنن الله في الكون والحياة، فإذا كان هذا أمل كل ثائر حر، ورجاء كل رجل شريف، فإن الأمور تجري بقدر، ومنطق الأشياء هو السير وفق النواميس التي أقام الله عليها الحياة والأحياء، فإن الانتقال من الأسوأ إلى الأصلح غير ممكن في ميزان الشرع ولا في ميزان العقل، ولا تقول به تجارب التاريخ جميعا.

كما أن هناك من يتفاعل مع الحدث تفاعلا مبالغا فيه وكأن فيه الخلاص التام الشامل من رأس النظام ورأسه، ومن الدولة العميقة وأن لا عسكر في مصر بعد هذه الأحداث، والبعض الآخر قلل من أهمية الحدث، ورأى أنه لا نتيجة له ولا فائدة منه على الإطلاق، والكلمة كلمة المؤسسات الحاكمة والدولة العميقة!

ولهذا فلابد من استحضار قواعد شرعية مقاصدية للنظر في هذا الحراك والتعامل معه، وما يماثله من حراكات في ربيعنا العربي وغير الربيع العربي، حتى تعتدل الأمور ونذهب فيها مذهب الوسط، وهو الخيرية، ومن هذه القواعد:

أولا: قاعدة المقاصد عامة ومقاصد الثورات خاصة

مقاصد الشريعة هي ضمان الحريات والعدالة والكرامة للناس، كما أن منها حفظ الكليات الست (الدين والنفس والعرض والنسل والمال والعقل)، وقد قامت ثورات الربيع العربي بسبب انتهاك هذه المقاصد، فلا أمن اجتماعي، ولا عدالة اجتماعية، ولا حريات مكفولة، ولا نفس محفوظة ولا عرض ولا عقل ولا مال! وهذه هي مقاصد الشريعة التي استقراها علماؤنا من نصوص الشريعة الغراء استقراء يفيد العلم والقطع؛ ولهذا قال الإمام الشاطبي: "وإنما الأدلة المعتبرة هنا المستقرأة من جملة أدلة ظنية تضافرت على معنى واحد حتى أفادت فيه القطع؛ فإن للاجتماع من القوة ما ليس للافتراق، ولأجله أفاد التواتر القطع، وهذا نوع منه، فإذا حصل من استقراء أدلة المسألة مجموع يفيد العلم؛ فهو الدليل المطلوب، وهو شبيه بالتواتر المعنوي". [الموافقات: ١/٢٨ . تحقيق مشهور بن حسن. طبعة دار ابن عفان].

لقد قامت حركة الربيع العربي من أجل استرداد هذه المقاصد وابتعاثها من جديد، وحفظها واستمرارها واستقرارها.

وحين تم الانقضاض على هذا الحراك وانقلبت عليه مؤسسات الدولة المصرية بجيشها وشرطتها وداخليتها وأمنها - أمن الدولة - الذي هو فزع الشعب على الحقيقة، قام بانتهاكات لهذه المقاصد بالجملة، فبدل الأمن للخوف، وبدل العدالة للظلم، وبدل الحرية لاستبداد، وحارب الدين وشعائره، وهتك العرض، وقتل النفوس وأزهق الأرواح، ونهب الأموال والمقدرات، وفرط في الأرض، وغيب العقول وضللها..

ويأتي هذا الحراك الجديد **حراك سبتمبر ٢٠١٩ م** ليقف أمام هذا الظلم، ويسترد عافيته، ويحاول إقامة حقوق الله وحقوق العباد، ويقام الوزن بالقسط ولا يُخسر الميزان.



ثانيا: قاعدة المصالح والمفاسد

جاءت الشريعة بتحصيل المصالح وتكثيرها، وبدفع المفاسد وتقليلها حسب الإمكان، ودفع شر الشرين بارتكاب أخفهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما..

ولهذا قال الإمام ابن تيمية: "إن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد، وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين، حتى يقدم عند التزاحم خير الخيرين ويدفع شر الشرين". [منهاج السنة النبوية: ٦/ ١١٨ . تحقيق محمد رشاد سالم. مؤسسة قرطبة].

وقال تلميذه المحقق الإمام ابن القيم: "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله - صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها". [إعلام الموقعين: ٣/ ١١ . دار الكتب العلمية].

- **والحراك المصري الدائر لا شك يستهدف تكثير المصالح، وتقليل المفاسد، فكل ما يكثّر المصالح واجب تأييده، وكذلك كل ما يقلل المفاسد.**

ثالثا: قاعدة التدرج

خلق الله السموات والأرض في أيام وليس في يوم واحد ولا لحظة واحدة وهو القادر عليه، وأنزل الشرائع والرسل تترا، ثم ختمها برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكان من الممكن جدا أن ينزل القرآن جملة واحدة كما تمنى الكفار: "وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ". [الفرقان: ٣٢].

وكذلك خلق الله الخلق، وخلق الإنسان، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا..". [الحج: ٥].

كذلك نزلت الأحكام الشرعية بالتدرج، فلم تنزل الأوامر مرة واحدة، ولا النواهي مرة واحدة، وكذلك كل فريضة فرضت بالتدرج، وكل محرم حرم بالتدرج،

فالتدرج في الخلق تفرع منه التدرج في التشريع، والتدرج في التطبيق فرع التدرج في التشريع.



وثورات الربيع العربي لا يمكن أن تبلغ مداها بضربة لازب، ولا بين عشية وضحاها؛ فالانتقال من الأسوأ إلى السيئ، ومن السيئ إلى الأقل سوءًا يتسق مع مقاصد الشرع ومصالح الناس..

وكذلك الانتقال من الأقل صلاحا للصالح، ومن الصالح للأصلح، يتسق كذلك مع مقاصد الشرع ومصالح الناس..

لماذا نقول ذلك؟

لأنه لا يوجد انتقال مفاجئ أو كامل من الأسوأ إلى تصفير الفساد، أو من الأقل صلاحا لقمة الصلاح والإصلاح، فضلا عن الانتقال مرة واحدة من الأسوأ للأصلح، طبيعة الأمور هكذا، وكذلك خلق الله المسوات والأرض، وهكذا أنزل الشرائع: التدرج والتدريج سنة من سنن الله في الخلق والشرع..

فكل ما يقلل الفساد والإفساد والطغيان والاستبداد يجب دعمه، كما سبقت الإشارة؛ إعمالا لهذه القواعد، وكل ما يحصل المصالح ويكثرها يجب دعمه كذلك..

أما النظر الحـَدِّيُّ للأمور، والرغبة فـي تحصيل كـل المصالح أو دفع كـل المفاسد، مرة واحدة ومن أول الأمر، فهذا سيكون كالمُنْبَتِّ تماما، لا أرضا سيقطع، ولا ظهرا سيُبقي!

رابعًا: قاعدة المآلات

- قاعدة المآلات من القواعد الواجب رعايتها في كل شيء وفي كل أمر وفي كل حال، كانت رعايتها واضحة في التشريع الإسلامي، وهذا أمر يتسع فيه القول، ويكفي أن نراجع رسالة أكاديمية واحدة في ذلك، هي: "اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات" للدكتور عبد الرحمن بن معمر السنوسي.



وقد قرر الإمام الشاطبي هذا المبدأ الكبير فقال: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل". [الموافقات: ٥/ ١٧٧].

والحراك الدائر في عالمنا العربي وفي القلب منه مصر يجب أن يُعتبر بمآلاته، فكل أمر محمود قد يؤدي إلى مفسدة أكبر يجب منعه، وكل عمل مشروع تحمد مآلاته يجب تعزيزه وتقويته.

إن رعاية المآلات واعتبارها من أخطر الأمور في التفكير وفي التصرفات وفي السلوك سواء، وإذا كان ذلك مهمًّا في كل حال فإنه يزداد أهمية وحتمية في عصرنا، عصر التحولات العظمى، والظواهر الكبرى، والتغيرات الهائلة.

خامسا: قاعدة التوسط

التوسط هو شعار الإسلام، وشعار هذه الأمة، قال تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ..". [البقرة: 143].

ومن أبدع من تكلم في هذه الآية هو شهيد الإسلام سيد قطب، قال:

- **(أمة وسطًا) فــي التصور والاعتقاد ..** لا تغلــو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي، إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح، وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال.

- **(أمة وسطًا) في التفكير والشعور ؛** لا تجمد علـى مـا علمـت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة، ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك.. إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب، وشعارها الدائم الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها في تثبت ويقين.



- **(أمة وسطًا) في التنظيم والتنسيق ..** لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب، إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب؛ وتزاوج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان، ولكن مزاج من هذا وذاك.

- **(أمة وسطًا) في الارتباطات والعلاقات..** لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة، ولا تطلقه كذلك فردًا أثِرًا جشعًا لا همَّ له إلا ذاته.. إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه، ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة، وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادمًا للجماعة، والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق.

- **(أمة وسطًا) في المكان..** في سرة الأرض، وفي أوسط بقاعها. . وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعًا، وتشهد على الناس جميعًا، وتعطي ما عندها لأهل الأرض قاطبة، وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك، وتتحكم في هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء.

انتصار وانكسار

د. مجدي شلش

الحياة لا تنفك عن فرح وترح، وفرج وضيق، وتقدم وتأخر، وصحة ومرض، وفقر وغنى، وانتصار وانكسار، نعيمها زائل، ومتعتها محدودة، الشدائد والابتلاءات للتمييز والتمحيص، فالناس معادن، لا تظهر أصالتها وقوتها وروعتها إلا بالمحن والمصائب، فالأصيل منها من ثابر وصمد، والغريب من فتن وحرق، لا بفرحها وانتصارها نغتر، ولا بحزنها وانكسارها نيأس ونقنط ونغتم، أمر المسلم كله خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له، قال تعالى: " لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ..."

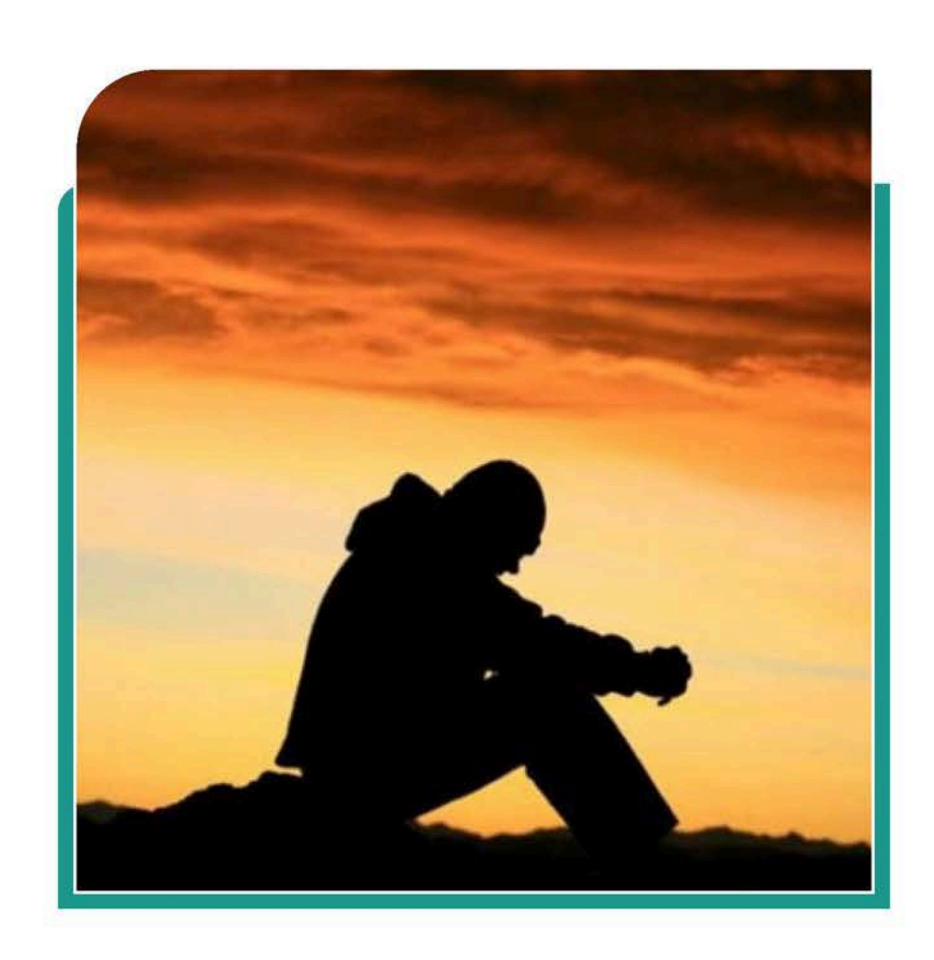


وشأن المسلم في الحياة حتى ينعم بها لا ينفك عن الآتي

أولًا: الشدة والمحنة والابتلاء ليس نهاية الدنيا، وإنما وجه من وجوهها، وطريق من طرائقها، بل كل محنة تحمل في طياتها منحة، والشر لا يخلو من خير متلبس به، فالمحن لها فوائدها ومقاصدها الدنيوية والأخروية، ولا يخفى ذلك على أولي الألباب.

ثانيًا: مهما كانت المحنة والشدة: من خوف أو جوع أو نقص في الأموال أو الأنفس أو الثمرات، لا داعي لليأس والقنوط والقعود، فاليأس موت للطاقات، والقنوط دمار للروح والحياة، والقعود سكون عن حركة الحضارة، وشرف المحاولة، ومتعة المجاهدة، ولذة الكفاح والمكابدة، قال تعالى: "يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه". وقال سبحانه: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ" ، وقال جل شأنه: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ..." .

الأنبياء والرسل أشد الناس بلاء، ما تسلل اليأس أو القنوط أو القعود لحظة إلى قلوبهم، دافعوا عن الحق أمام كل الصعاب، وخاضوا المعارك والغزوات رغم الألم والمكاره وتجمع الأعداء، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا، وما استكانوا.



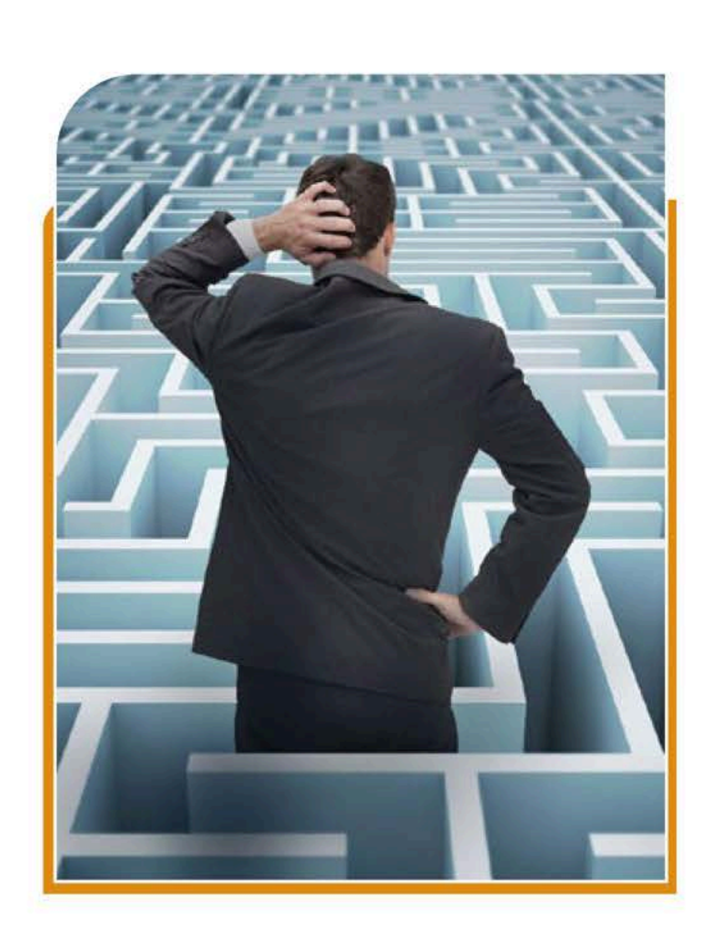
كيف نيأس من تخطي الصعاب والشدائد ولنا رب كريم قادر عظيم، يعلم السر وأخفى، مطلع على القلوب والصدور، إن علم في قلوبنا خيرًا، أعطانا ما نحب من الخير، قال تعالى: "إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ". وقال سبحانه: "... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ...".

هذا أول الواجبات على الثوار الأحرار، طهروا قلوبكم حتى تكون محلاً لنظر الله، فالله يحب التوابين ويحب المتطهرين، ومحل نظره لعباده قلوبهم، إن رآها مخلصة صالحة صادقة لا تبتغي إلا مرضاته، لا ترجو سواه، ولا تتعلق إلا به، جعل لها من كل ضيق فرجًا، ومن كل هم مخرجًا، ورزقها من حيث لا تدري ولا تحتسب، ويسر لها أمرها، ورفع قدرها، وغفر لها ذنبها.

انظروا أيها الإخوة الثوار الأحرار في قلوبكم، طهروها بالتوبة والاستغفار والذكر وتلاوة القرآن وكثرة السجود بين يدي العليم الخبير، تعود لكم الحياة، وتعيشوا البشرى من الله، قال تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم: "...إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ . قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ . قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ . قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ".

ثالثًا: الوقوف على الأخطاء التي كانت من صنع أيدينا، نستغفر الله منها، ونعمل جاهدين في ظل ثورتنا على تخطيها، لا يستكبر، ولا نستعلي، ونقول ليس لنا أخطاء، فمن هم أفضل منا قال الله فيهم: "... حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ...".

الله الله في مراجعة النفس والعمل، أنزل الله في غزوة أحد وحدها ستين آية، تبرز محاسن الغزوة في بدايتها، وبينت المآخذ والذنوب في آخرها، ووجهت وعلمت وأمرت ونهت، كل ذلك بعد الغزوة مباشرة، فكان بيانًا للناس وهدى وموعظة للمتقين.



ماذا فعلنا قبل الانقلاب، وماذا فعلنا بعده، وماذا فعلنا أثناء فض رابعة العدوية والنهضة وغيرها الكثير والكثير، أين المراجعة والمحاسبة؟ الله سبحانه وتعالى عاتب نبيه وحبيبه أشد العتاب، بأقوي الألفاظ بعد أخذه الفدية في أسرى بدر الكبرى، بعد انتصار عظيم، وفرقان للحق، وإزهاق للباطل، قال تعالى: "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

من دلالة هذا الكلام العظيم تظهر مشروعية بل لزوم المحاسبة والمراجعة، مَن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحاسب ولا يعاتب؟ وقد حاسبه الله سبحانه وتعالى وعاتبه، وهو الحبيب والمؤيد بالوحي، ولذلك أيها الإخوة الأحرار الثوار: من لا يريد المحاسبة أراد عرض الدنيا، فأجدر به أن يتنحى أو يُنحى، حتى لا يحصل التنازع، فيكون الفشل والعصيان.

رابعًا: تجمع الثوار على رؤية مكتملة النظر والشروط والأركان فريضة، الفرقة هزيمة وعذاب، والتجمع وحدة وانتصار، لابد من عودة الثورة تحت قيادة راشدة ملهمة، تقوم بواجبها، فتعفو عما فات من زلات الإخوان والثوار، وتبني بيئة جديدة للحب والأخوة والتصافح والتغافر. أعجب لأناس يجرون وراء المصالحة مع المجرمين القاتلين، ولا يسعون لمصالحة إخوانهم وأحبابهم، الذين عاشوا في دعوة واحدة، وأكلوا وناموا وشربوا ولبسوا شيئا واحدا ،غفر الله للجميع.

التحدي الآن أيها الثوار الكرام كامن في الوحدة والأخوة، والتجمع حول قيادة ملهمة، والصف الثوري فيه اللؤلؤ والمرجان، والدرر من الرجال والنساء والولدان، عودوا صفا واحدا، الشباب يحترم الكبار ويقدرهم، ويرفع قدرهم ويجلهم، والشيوخ الأجلاء يقدرون أبناءهم وأولادهم، الكل يعمل للثورة، يغرس لها في قلوب الناس حتى تثمر القبول والانتصار، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالآتي:

أولا: بناء المشروع الثوري على الخبرة والكفاءة العلمية والعملية، بعد رصد كافة التحديات ودراستها دراسة علمية متأنية والخروج برؤية ثورية مناسبة للحالة الواقعية.

تتمة ذلك يجب ألا تشكل الحالة الثورية على قدرة فصيل واحد، ويجب أن تكون فكرة إدارة العملية الثورية بعيدة كل البعد عن شكل التنظيمات الهرمية التقليدية، والدعوة للعمل الثوري ليس دعوة إلى تنظيمات أو تكتلات وإنما دعوة المؤمنين منهم بالعمل الثوري، وإخراج ذلك في صورة جديدة بعيدة كل البعد عن الأشكال القديمة.

هذا هو التحدي الأكبر الذي يواجه الثورة، صورة جديدة تجمع ولا تفرق وتبني رؤيتها على أهداف واضحة وأساليب مبدعة، أساسها العلم والخبرة والكفاءة، والاستفادة من كل المنصات الإعلامية والمراكز البحثية والتخصصات المختلفة، فالثورة تحتاج الآتي:

أولا: مدى حل الأهداف والوسائل التي تستخدمها في مواجهة التحديات المتوقعة من الانقلابيين في الداخل وأذنابهم في الخارج، فأي ثورة بعيدة عن النظرة الشرعية التي تضع التوصيف الدقيق للواقع الثوري بمشكلاته الشرعية بعيدة كل البعد عن النجاح، لأن الشعب المصري بعضه أو غالبه ما زال ينظر للأشياء بمنظور الحل والحرمة، ومن هنا لابد من تكوين فريق من العلماء الشرعيين الذين يؤمنون بالثورة لدعم الثوار بالمناسب من الأحكام الشرعية في التقدم أو التأخر عند استعمال الوسائل الثورية.



ثانيا: لن تنجح أي ثورة بلا كادر سياسي متميز قارئ للواقع وناظر في التصرفات ومحلل للأوضاع، ومبين للمآلات ومتصور لحقيقة الصراع، فالعمل الثوري الذي يبعد عنه خبراء السياسة وأعلامها أقرب للفوضى منه إلى تحقيق الأهداف، وشرطه الأول أن يكون مؤمنا بالثورة، ويثق الثوار في أهليته وكفاءته، ولذا لابد من تكوين فريق من خبراء السياسة يشاركون الثوار الرأي والمشورة في تحديد الأهداف ووضع التصورات الأقرب للصواب.

ثالثا: الشباب هم أدوات النجاح في غالب الثورات، ومن هنا تظهر أهمية روح الفريق بين الشباب الذي يؤمن بالثورة ويراها أنسب الحلول للواقع الانقلابي، فإذا غابت روح الفريق عن الشباب فقل على الثورة السلام، إذا تعامل الشباب بروح التنظيم أو مجرد التنظير فنحن أمام كارثة ثورية لا يمكن أن تبعث على الانتصار في أرض الواقع.

أعلم أن كثيرا من الشباب ثقافته ثقافة التنظيمات المغلقة، لكن الواقع الآن أصبح أكبر من أي تنظيم مهما كبرت أهدافه واتسعت رقعته إلا إنها في النهاية خادمة له لا للعمل الثوري، وعندنا حالات نجاح كثيرة على الشباب دراستها، والشباب عنده من القدرة والإرادة على تجاوز التحديات التنظيمية والانقلابية معا لو اتحدت رؤيته وتناغمت أفكاره، وتنوعت وسائله وإجراءاته.

وهنا أنصح وأذكر الشباب الذي ما زال يراوده هدف القضاء على المستبد أنكم رأيتم الموت مرات ومرات فلا تغرنكم الحياة، وإلا ضيعتم وطنكم وخنتم دماء شهدائكم، ليس أمامكم إلا العمل المدرك لحقيقة العمل الثوري بكل فهم وتأن، فلا مجال للعاطفة أو الارتجال أو العشوائية، فقد دفعنا ثمنها غاليا من دماء شهدائنا وسادتنا المعتقلين وإخواننا المطاردين. الثورة يا شباب فهم وإدراك وعمل متواصل بالليل والنهار حتى يحقق الله النصر على أيديكم أيها الأطهار



رابعا: الثورة بلا معلومات فوضى، وبلا إمكانات درب من الحلم أو الخيال، دراسة الواقع وتفكيك عناصره ومشكلاته والاطلاع على عورات الخصم وتقديم البديل المصلحي المنسجم مع رغبات الشعب المصري يحتاج إلى عمق، وكذا دراسة الخصم ومعرفة مكمن قوته وضعفه، والكلام في ذلك يحتاج إلى عشرات الورش أو الحلقات في كيفية امتلاك المعلومة التي ينبني عليها قرار صحيح أو على الأقل تكون نسبة تحقق المصلحة فيه أغلب مما يترتب عليه من المفاسد.

خامسا: الحالة الثورية في أشد الاحتياج إلى الإعلام بكل قنواته وأدواته، صناعة الوعي والرأي العام أصبح الإعلام هو الرائد الأول فيها، وعندنا خبرات إعلامية تراكمية جديرة بالبناء عليها وتقويتها والنفخ فيها حتى تعود للثورة وتبعد عن المهاترات القائمة على ما يقوله إعلام النظام، الحالة الثورية التي تملك زمام المبادرة تجبر كل الوسائل على التغطية، ولعلكم لمستم كيف ساعدت مواقع التواصل (محمد علي) وغيره على نشر كلامه وأصبح له وقع وتأثير على الظالم الغشوم.

(أمة وسطًا) في الزمان.. تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها، وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها، وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها، وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى، وتزاوج بين تراثها الروحي من عهود الرسالات، ورصيدها العقلي المستمر في النماء، وتسير بها على الصراط السوي بين هذا وذاك". [في ظلال القرآن: ١ / ١٣١].

"وموضع الشاهد في التوسط والاعتدال والاتزان مع هذه الأحداث ما جاء في كطلع هذا المقال، فمنذ أن بزغ هذا الحراك والناس منقسمون فريقين: فريق يتفاعل مع الحدث تفاعلا مبالغا فيه وكأن فيه الخلاص التام الشامل من رأس النظام ورأسه، ومن الدولة العميقة وأن لا عسكر في مصر بعد هذه الأحداث، والآخر قلل من أهمية الحدث، ورأى أنه لا نتيجة له ولا فائدة منه على الإطلاق، والكلمة كلمة المؤسسات الحاكمة والدولة العميقة!"

وهناك **فريق ثالث** - وهم قليل - التزم النظرة العاقلة المتوازنة المعتدلة، وهو ما يجب أن يكون عليه كل مسلم، فالنظرة المفْرطة في التفاؤل ستصاب بالإحباط الشديد عند قلة الأثر فضلا عن انعدامه، والنظرة اليائسة ليست في صالح المشهد ولا الشخص نفسه على مستواه الشخصي وكذلك من حوله.

أما النظرة الوسطية الهادئة العاقلة فهي التي لا تنكر ما لهذا الحدث من آثار ودلالات، فلا يمكن أن يكون هكذا بلا أهمية ولا دلالة، وفي الوقت نفسه ليس هو نهاية الطريق ولا ختام الأمر فإن الأمور تجري وفق سنن الله، ووفق قاعدة التدرج؛ ولهذا وجب أن نكون معتدلين متوازنين في نظرتنا للأمور؛ طبقا لقول الله تعالى: " وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ... ". [الرحمن: ٩].



الانتظار لا يصنع الانتصار

د. عطية عدلان

الانتظار والانتصار ضدان لا يلتقيان وقرنان لا يأتلفان؛ وكيف يمكن أن نؤلف بين غاية ووسيلة لضدها، كيف يمكن أن يكون الغرس بكسر الفأس، والظفر في المعارك بالضعف والخوف وترك البأس؟!

كأننا لم نستفد من نبوءات المخلصين المنتظرين كالمهدي وابن مريم إلا الرقاد انتظارا للخلاص ولو على أيدي منشقين من (شرفاء الجيش!) مع أن الأصل في تلك النبوءات بث الأمل وبعث الناس للكفاح والعمل.

لـم تكـن الهزة التي أحدثها (محمد علي) لعرش السيسي هي الأولى ولن تكون الاخيرة؛ فعرش السيسي قوائمه من قصب وجوانبه من خشب ومن السهل إن توفرت الإرادة حطمه بل حرقه؛ لكننا لا نريد، وإن توهمنا أننا نريد!

لا يطلب من (محمد علي) أن يقدم أكثر مما قدم، وما قدمه كثير وليس قليلا، لكنه لا يملك الرؤية الكاملة للتغيير الحقيقي، والحق يقال إنه ليس مطالبا بأكثر مما قام به؛ فأين دور الكبار؟!

لقد مرت أحداث كثيرة كان بالإمكان استثمارها لإحراز تقدم وتحقيق مكتسبات على أرض الواقع تقرب الغاية وتدنو بنا إلى النهاية، لكننا لم نفعل،؛ ومن لا يفعل اليوم لا يفعل غدًا لأنه اعتاد ألا يفعل.

إن الشعـب ينسى ويألـف بـالاعتيــاد العبودية والذل؛ فإذا لم يجد على الدوام من يأخذ بيده ويمنحه الثقة بنفسه بتمكينه من إحراز المكتسبات الواقعية فسوف يظل يدور في فلك الظالمين حتى يتطبع على ذلك.

إن الأنظمة المستبدة لا تسقط بمجرد الفضح والتعرية؛ ولكن الفضح والتعرية مقدمة الإسقاط والتغيير فإذا جاءت المقدمات ولم يأتِ التغيير فهذا يعني أن إرادة التغيير غير متوفرة أو أنها متوفرة ولكن المنهجية المتبعة في التغيير غير مكافئة لحجم التحديات؛ فعندئذ لا تغني شيئًا تلك المقدمات وتذهب حيث ذهبت أخواتها من قبل أي إلى سلة المهملات.

لن يكون هناك تغيير ولا حتى إصلاح جزئي حتى يكون لدى الكبار وأهل الحل والعقد رؤية ومشروع وخطة واستراتيجية، ولن يكون لديهم شيء من هذا كله حتى يتوحدوا ويضعوا خلافاتهم خلف ظهورهم.

إن الخطوة الأولى التي لم ننعم بها بعد هى هذه الخطوة؛ وبدونها لا يمكن أن يحدث شيء يعول عليه بأيدينا، ولن يكون بأيدي غيرنا إلا على وجه الاستبدال:

(وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم)

إلباس اليأس جبّة الحكمة

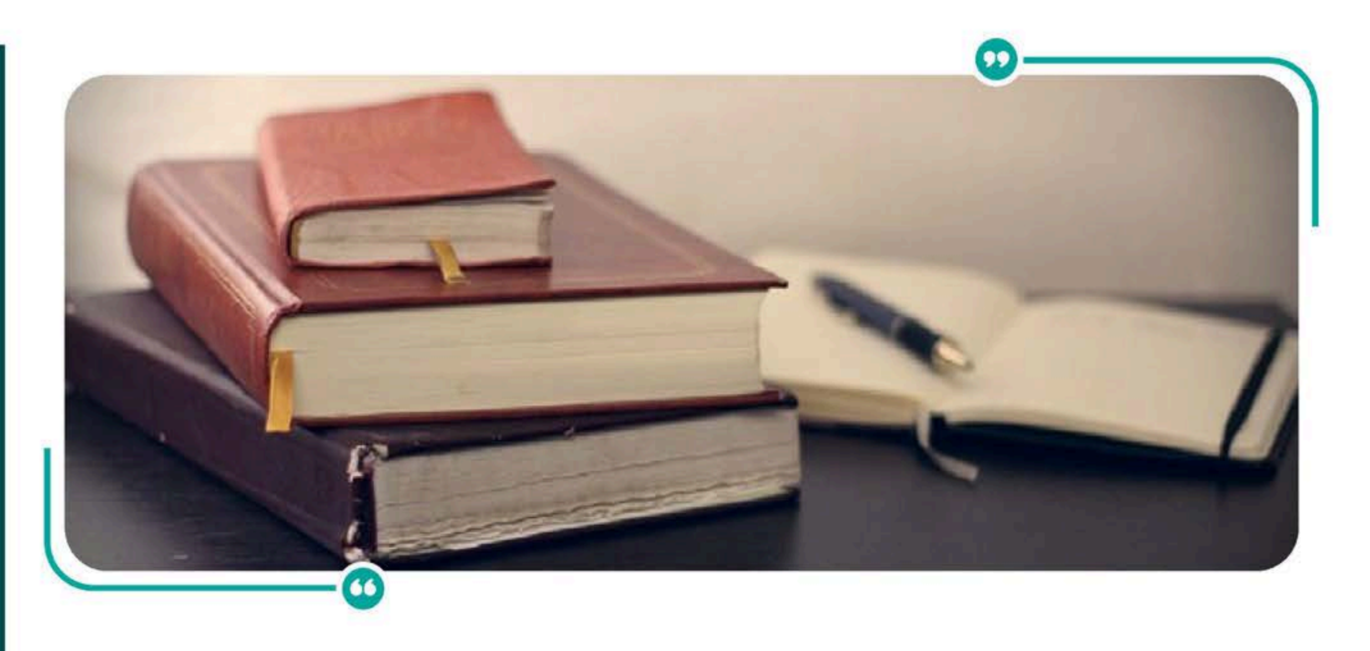
إبراهيم السكران
(فك الله أسره)

الحمد لله وبعد، من أعظم المواضع التي حارت فيها عقول كثير من المنتسبين للعلم والدعوة والحسبة والجهاد، ووقع فيها الاضطراب، باب (العلاقة بين شعب الإيمان)، حيث خلق الله النفوس متفاوتة في الاستعدادات والملكات والقدرات والقوى والفروق الفردية، ثم أنزل الله وحيًا فتح فيه أبوابًا إلى الخيرات، حتى جعل الله للجنة أبوابًا، ورسم كل باب منها بشعبة من شعب الإيمان، كما خرّج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة» [صحيح البخاري:٣٦٦٦].

وتنافس أهل الإسلام في تعديد شعب الإيمان، فصنفوا فيه وأوعبوا، حتى بلغ كتاب البيهقي في شعب الإيمان بضع عشرة مجلدًا، والبيهقي تشكل وعيه العلمي في عصر الموسوعات الكبرى، وهذا كان مزاج العصر في التأليف، المبني على الاستيعاب والاستقراء والاستقصاء والتتبع. وبسبب هذا التفاوت بين غزارة شعب الإيمان، ومحدودية القدرات البشرية وقصر العمر، ينشأ في النفوس التجاذب والتوتر، فتجد كثيرًا من الناس في لحظات الفتوة العلمية واليفاعة الدعوية: فلكيّ الطموحات، يتحامل على نفسه أن يصافح النجوم وهو في أسفل الوادي، كلما سمع اسم عِلْمٍ هفت نفسه إليه، وكلما نبا إليه خبر ثغر دعوي تخيل نفسه يطير إليه، ثم لا تلبث ارتطامات الواقع وكدمات تعثر المشروعات أن تحفر أخاديد الإحباط في أحلامه، ويرى بنفسه ملف الآمال تتساقط أوراقه ورقة ورقة أمام عينيه.

وتتنـوع استجابات النـاس لهـذا السيناريو المتكرر في حياة الكثيرين، ولكن من أسوأ الاستجابات (إلباس العجز جبّة الحكمة) وأنا ذاكرٌ لك الآن بإذن الله صورًا ونماذج يتبين بها هذا الخلل تفصيلًا. فمن ذلك أنك تجد من شعب الإيمان (الصدع بالحق) وتحمل ما يترتب عليه تبعًا من الابتلاء، بل إن حمل رسالة الإسلام ذاتها لا تسلم من تهديدات القوى الدنيوية أصلًا، كما قال الله: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّـهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّـهَ) [الأحزاب:٣٩].

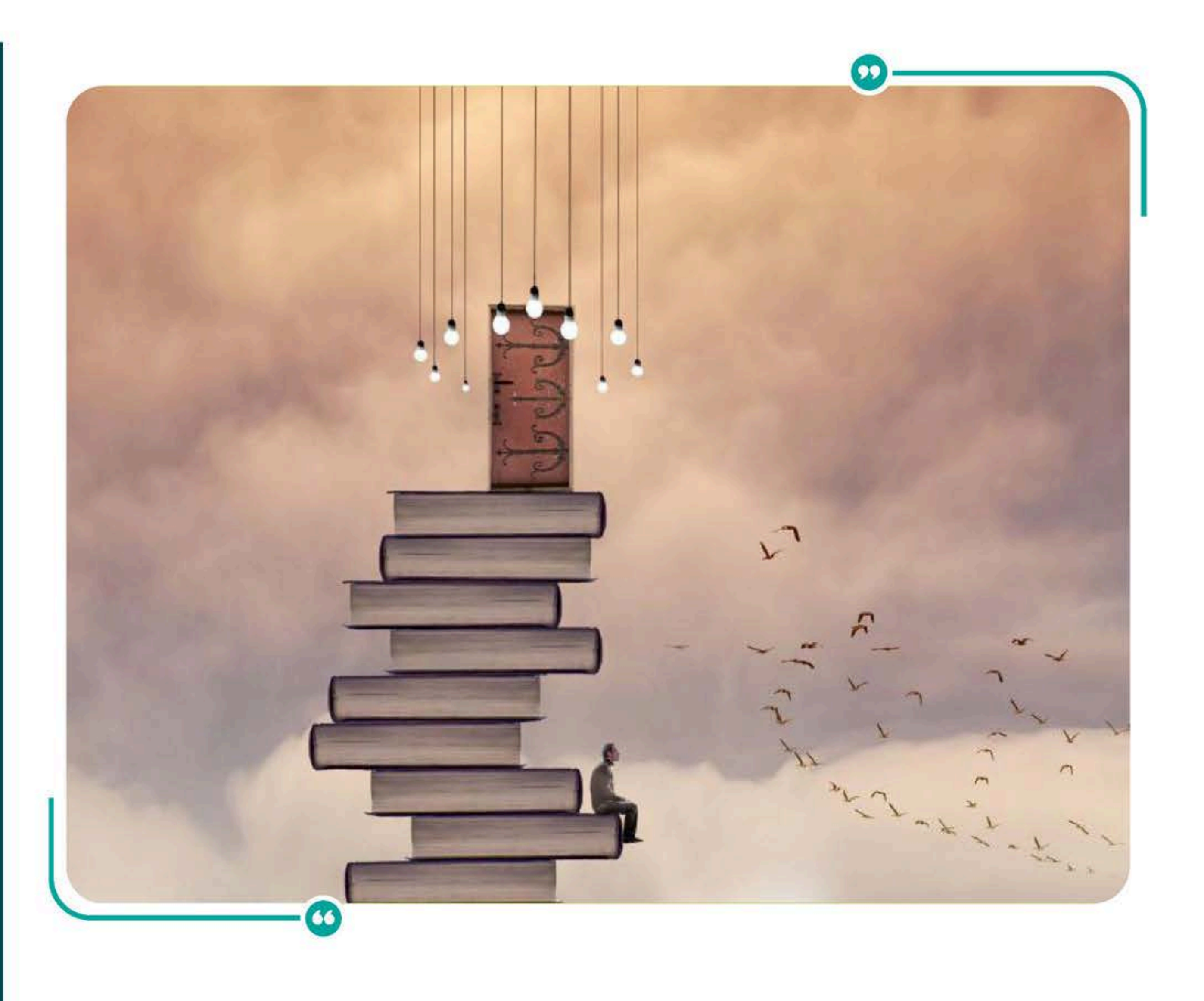
فيصدع شخـص مـا بالحق مثلًا فـي أكل المال العام أو مظالم السجون أو التغريب بالقرار الإداري ونحوها، ثم قد يرى الفقيه والداعية عجزه عن ذلك، فلا يصارح بعضهم نفسه بعجزه، ويدعو لمن قام بالفرض الكفائي ورفع المعرّة عنه؛ بل يحاول أن يلبس عجزه جبّة الحكمة ومشلح بعد النظر، ويلمّح للصادعين بمهامز التهور والتعجل وقلة العلم والوعي والعاطفة والحماس ونحو هذا المعجم البارد. وكم شاهدنا من عجز عن الإنكار والاحتساب، وفي ذات الوقت ثقُل عليه أن يعترف بالعجز والقصور، فاستعاض عن ذلك باستسذاج المحتسبين.



ومن ذلك أيضًا أن من أعظم شعب العلم (حفظ العلم في الصدور) كما قال ربنا (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) [العنكبوت:٤٩]، ولو لم يكن في فضل حفظ العلم إلا بركة دعاء سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفى: «نضّر الله امرأً سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه» [مسند أحمد:٩٦/٦]. وكل طلاب العلم بلا استثناء يبدؤون حياتهم العلمية بمشروعات الحفظ، ولكن إمكانيات الحفظ والضبط تتفاوت، فقد رأينا أشخاصًا يحفظون في نصف ساعة ما يستذكرونه بعد شهرين، ورأينا أشخاصًا يحفظون بعد العصر ما يضطربون في تلاوته قبيل العشاء! فبعضهم إذا لم يستطع حفظ العلم لا يعترف لنفسه بالعجز ويجتهد في تحفيز إخوانه ممن يستطيع ذلك، بل تراه يخذّل إخوانه عن حفظ العلم، ويبتكر ألوان الملامز في المشتغلين بحفظ العلم، برغم أنه هو ذاته، هو ذاته لا غيره، يضمر في نفسه رهبة أمام حفاظ العلم، وذهولًا منهم إذا بدؤوا في سرد محفوظاتهم، وكم رأينا من أشخاص يذمون حفظ العلم أمام أقرانهم، ثم إذا أرادوا الثناء على من يوافق هواهم قالوا هو "يحفظ كذا وكذا"، فيذمون حفظ العلم في باب التنظير، وينسون تنظيرهم في ساحة النزال والمباهاة، بل ويخترع بعضهم متضادات ليست أضدادًا أصلًا، كتضديدهم بين الحفظ والفهم، ويحك.. وهل رأيت أحدًا أصلًا يقول: (أوصيك أن تحفظ ولا تفهم!)، بل كل من يقول احفظ يقول لك: افهم، ولكن المصيبة في من يقول: (افهم ولا تحفظ!) وأي شيء يضيرك أن تكون صادقًا مع نفسك، وناصحًا لفتيان يستمعون إليك، فتقول لهم: يا إخواني استثمروا أعماركم قدر استطاعتكم بالفهم والحفظ، كليهما

ومن أسباب سوء الفهم في مسألة (حفظ العلم) أن كثيرًا من الناس إذا ذكر لهم حفظ العلم انصرفت أذهانهم إلى حفظ المتون المقررة المعروفة، والواقع أن حفظ المتون هو "جزء" جليل من حفظ العلم، ولكنه ليس هو حفظ العلم بـ"المطابقة"، فحفظ العلم أوسع من ذلك كثيرًا، حيث يدخل في حفظ العلم: حفظ ألفاظ القرآن والحديث، وأسماء الأعلام ووفياتهم ومعاني اللغة والتعريفات وأشهر الأقوال في المسألة والتسلسل التاريخي للمذاهب والبدع ومواطن المسائل ومظانها وحفظ الموضوعات التي تعرض لها كل كتاب مهم في بابه.. إلخ، بما يعني أن كل عناصر العلم هي من أبواب حفظ العلم، وكلما حفظ طالب العلم قدرًا أكبر من المعلومات زادت إمكانياته، وقد كان السلف في القرون المفضلة قبل نشوء المتون المقررة المعروفة منهمكون في حفظ العلم ويحفظون ألفاظ النصوص وآثار الصحابة والأسانيد وأحوال الرواة ولغة العرب وشواهدها ونحوها من المعلومات، والمراد أن حفظ العلم أوسع من حفظ المتون، وأن حفظ المتون جزء جليل من حفظ العلم.

ومن أسباب سوء الفهم أيضًا في مسألة (حفظ العلم) ظن الكثيرين أن حفظ العلم بتكرار لفظه، بتعيين مقطع وتكراره، وهذا صحيح جزئيًا، فتكرار اللفظ المعين طريق عملي فعّال لحفظ العلم، لكنه ليس هو الطريق الوحيد، بل الصحيح أن كل وسائل "معاناة العلم" بإدمان النظر فيه وتقليبه، وتأمله وتدبره: بالشرح والتلخيص والتعليم والتحقيق والتحرير والمدارسة والمباحثة والفتيا.. إلخ، كلها من وسائل حفظ العلم ورسوخه في الذهن. ومعاناة العلم تثمر الخبرة به، ولذلك ترى الإمام ابن تيمية يستعمل مصطلح الخبرة في تقييم العلم كثيرًا، كقوله من له خبرة بالسنة علم كذا، أو من له خبرة بنصوص أحمد، أو فلان لم يكن له خبرة بمذهب أهل السنة، وهكذا، فالخبرة فيها قدر زائد على مجرد العلم المحض، وهي الناتجة عن معاناة العلم وتقليبه وإدمان النظر فيه وتأمله. وهذه القضايا، حول مفهوم حفظ العلم ووسائل حفظ العلم؛ ليس هذا موضع بسطها، ولها إن شاء الله موضع آخر، وإنما المراد التنبيه عرضًا على وهم يرد للبعض.



ومن شعب العلم (التبحر) وسعة الاطلاع وجرد المطولات وثراء المقروءات، وجندلة الكتب واحدًا تلو الآخر، وسعة الاطلاع تفتح باب التشعب في العلم، ولذلك قال ابن عبد الهادي عن شيخه البحر ابن تيمية (لا تكاد نفسه تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، وقلّ أن يدخل في علم من العلوم، في باب من أبوابه؛ إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب) [طبقات علماء الحديث:٤/٢٨٢]. وقال ابن كثير عن صاحبه ابن القيم: "وكنت من أصحب الناس له، وأحب الناس إليه... واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عُشْره، من كتب السلف والخلف" [البداية والنهاية٩/٤٩١]. ووفرة المصادر تتيح لمن يروم الكتابة والتأليف النقول التي يحتاجها، ويظهر أثر ذلك في كتابه، كما قال ابن حجر عن الأذرعي: "وجمع الكتب حتى اجتمع عنده منها ما لم يحصل عند غيره، وظفر من النقول ما لم يحصل لأهل عصره، وذلك بيّن في تصانيفه" [إنباء الغمر:١/٢٤١].

وتحقيق وتحرير المسائل هو مخ العلم، ولقد حفر إزميل التجارب في ذهني أن (مفتاح التحقيق مقارنة المصادر). ومن أعظم ثمرات مقارنة المصادر أنها تفرز لك (المعلومة) عن (القراءة والتفسير)، فكم من معطى قرأته في كتاب تظنه معلومة مسلمة يبنى عليها، فلما قارنت المصادر تبيّن أنها رأي وتوجيه واستنتاج من المؤلف. وتجد بعض شداة العلم في مبتدأ الطريق يولعون بشراء الكتب، وذهنه يعيش قصة مشروع علمي مع كل كتاب يمد يده إليه ليقتنيه، فيتخيل نفسه كيف سيقرأه؟ وماذا يستخرج منه؟ وماذا سيضيف إليه؟ ثم لا يلبث بعد زمن أن يرى كتبه التي اشتراها من معرض الكتاب السابق لم يمسها إلى الآن بينما هو يدفع عربته في معرض الكتاب الحالي! فتضطرم في صدره أحاسيس اللا جدوى ومخاوف خداع الذات، فتجد بعضهم لا يعترف لنفسه بالعجز عن الجدية في القراءة وسعة الاطلاع، وعدم قدرته على الاستفادة من الكتب الكثيرة، بل ينقلب ويخلع على عجزه عباءة الحكمة، ويتحول ذامًا ومحذرًا من اقتناء الكتب ومطاردة المصادر، دون تمييز بين من يقتني الكتب وينتفع بها، وبين من يقتني الكتب ويكدسها.

وهاتان الشعبتان من شعب العلم، أعني شعبة (حفظ العلم) وشعبة (سعة الاطلاع)، كثر افتعال الصدام بينهما، وهو نظير الصدام المفتعل بين شعبة (حفظ العلم) وشعبة (فهم العلم)، وكل هذه الشعب تقع من العلم موقع الأبواب من القصر، فاجتهد في تكثير أبوابك، وما على أحدٍ يدعى من جميع هذه الأبواب من ضرورة. ولا أذيع سرًا إن قلت للقارئ أنني كلما رأيت انفجار المعارف في عصرنا، وتنوع أساليب العرض والمعالجة، ثم رأيت طالب علم يزهّد في سعة الاطلاع؛ إلا انقبض قلبي، وخشيت أن ينشأ جيل إسلامي ينكسر معرفيًا أمام التيارات المنحرفة، ثم تدور في خاطري الهموم كيف أوصّل لهذا رسالة بأن تصرفه خاطئ وخطر على مستقبل العلم والدعوة.

ومن أعظم شعب العلم، شعبة (فقه مسائل التراث) وشعبة (فقه النوازل) فتجد بعض من حاول أن يفقه المستجدات المالية والطبية والسياسة الشرعية أعياه تتبع مصادرها الحديثة، فعاد منتقصًا لها بدل أن يعترف بعجزه ويحرص

إخوانه على القيام بالواجب الكفائي، وتجد آخرين حاولوا فقه المسائل التراثية الأصيلة فأعيتهم لغة تلك الكتب وانقطعت أعناقهم عن مطولاتها، وتنوع العلوم الآلية المطلوبة لها؛ فأنفوا من الاعتراف بالعجز، وصاروا يظهرون التهكم بمن يحرث الماضي ويعيد إنتاج المستهلكات، والواقع أن كلا المطلبين شعبتان عظيمتان من شعب العلم، فمن جمعهما فقد تسيّد المشهد الفقهي، ومن عجز عن أحدهما فليجتهد فيما تدركه قواه وملكاته، وليشارك إخوانه في الجبهة الأخرى بالنية الصالحة على الأقل، فيدعو لهم ويحبهم، والمرء مع من أحب، وليس من اللائق إذا عجزت عن أحدهما أن تتقمص صورة الحاذق الواعي في تركك لأحد البابين.

ومن أعظم وسائل الدعوة اليوم التسلح بقدر أساس من الثقافة المعاصرة، فإن العلم الشرعي غذاء، والثقافة المعاصرة وعاء، والوعاء الجميل يفتح شهية المتلقي للغذاء النافع، وأكثر العلماء بعد السلف تأثيرًا في قضايا المنهج هم العلماء المثقفون، كابن حزم والغزالي وابن تيمية، بل إن المثقفين الإسلاميين كالمودودي وسيد قطب والندوي ونحوهم كانوا أكثر تأثيرًا من بعض فحول العلماء في عصرنا، برغم ما يعتري خطاب هؤلاء المثقفين الإسلاميين من قصور ناشئ عن قلة الخبرة بعلوم الشريعة، فكيف لو جمع بينهما في نموذج العالم المثقف؟! والمراد أن هذه الأمة لها خصوصية، فهي (أمة وحي) فمن لم يعرف كلام الله ورسوله، ومعاني كلامهما، والعلوم الموصلة لذلك؛ لم يستطع التأثير الصحيح في هذه الأمة، ومن لم يعرف الثقافة المعاصرة لم يعرف كيف تشكل عقل الجيل الجديد؟ وكيف تفكر النخب المعاصرة المأزومة مع الإسلام؟ فالثقافة المعاصرة "لغة" ومن لم يعرف لغة قوم كيف يدعوهم؟ ولذلك قال الله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [إبراهيم:٤] فتدبر كيف ربط البيان باللسان، ينفتح لك باب إدراك أثر معرفة اللسان الثقافي المعاصر في البيان الشرعي.

وكنت حين أقرأ في كتب التراجم يلفت انتباهي حين يقولون عن عالم من علماء السنة أنه اطلع على العلوم العقلية في عصره، بل إنني كنت زمنًا طويلًا أتوهم أن ابن تيمية إنما قرأ الثقافة المعاصرة بعدما كبر وصار في أواسط العمر، واكتشفت أنه أنجز العلوم الشرعية، ثم اطلع على الثقافة المعاصرة، بل وصل إلى مستوى نقدها، ليس نقدًا جزئيًا في بعض المسائل، بل نقد كلي شامل، كل ذلك وهو صغير، حيث يقول عن نفسه: "المعلوم من حيث الجملة أن الفلاسفة والمتكلمين من أعظم بني آدم حشوا وقولا للباطل وتكذيبًا للحق في مسائلهم ودلائلهم، وأذكر أني قلت مرة لبعض من كان ينتصر لهم من المشغوفين بهم، وأنا إذ ذاك صغير قريب العهد من الاحتلام؛ كل ما يقوله هؤلاء ففيه باطل، إما في الدلائل وإما في المسائل، إما أن يقولوا مسألة تكون حقا لكن يقيمون عليها أدلة ضعيفة، وإما أن تكون المسألة باطلًا، فأخذ ذلك المشغوف بهم يعظم هذا وذكر "مسألة التوحيد"، فقلت: التوحيد حق، لكن اذكر ما شئت من أدلتهم التي تعرفها حتى أذكر لك ما فيه.." [مجموع الفتاوى٤/٢٧].



هذا الحوار الذي يسجله ابن تيمية من واقع سيرته الذاتية، حيث يروي كيف نقد الثقافة الفلسفية في عصره باستيعاب شامل ودقيق؛ وهو قريب العهد من الاحتلام، بلغ بي من الانبهار مبلغه، وتوقفت عن القراءة حين بلغت هذا الموضع، ووضعت يدي في الكتاب، وصرت أبحث عن من أطلعه عليه، وأتحرى الدهشة في وجهه كالمستزيد.

والمراد هاهنا أن الجمع بين العلم الشرعي والثقافة المعاصرة عملة نادرة، وأهل هذا الجمع هم المؤهلون للتأثير العميق في هذا العصر بعد توفيق الله، وهم المؤهلون لتحقيق مراد الله بتحكيم الشريعة في مسائل المعرفة والعلوم المعاصرة، وتحرير مسائل العلوم الحديثة في ضوء الوحي، ويجب أن نعترف أنها مهمة شاقة وتحتاج لملكات خاصة، من أهمها "سرعة الإدراك"، وهي ملكة أخص من مطلق الفهم، وتأمل سرعة الإدراك فيما يرويه ابن عبد الهادي عن شيخه ابن تيمية: "وقرأ أيامًا في العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه" [طبقات علماء الحديث٤/٢٨٢].



والحقيقة أنك تجد بعض المشتغلين بالعلم الشرعي لاحظ أنه لا يمكنه الجمع بين العلم الشرعي والثقافة المعاصرة، فصار يزهّد غيره من أهل العلم في ذلك، وهذا اجتهاد غير موفق، بل يجب أن يوجه العالم طلابه إلى أن يؤصّلوا أنفسهم في العلوم الشرعية، ثم يكونوا أنفسهم تكوينًا ثقافيًا ممتازًا بحسب الطاقة والإمكان، ولا يلبس عجزه جبّة الحكمة.

ومن أعظم شعب الإيمان نصرة المجاهدين في سبيل الله، ومن ألقوا أرواحهم بين لهيب الرافال والهاون والطائرات بلا طيار، نصرتهم بالكلمة والريال وقنوت النازلة وأكف الضراعة إذا هبطت الأسحار، وتدبر قول ربنا ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال:٧٢]. ثم إنك تجد بعض من حاول نصرة المجاهدين شعر بإحراجات سياسية، أو لمحوا له بإيقاف درسه بعد المغرب، أو كلمته في الإذاعة، أو عرقلة فسح لمشروع دعوي بدأ به موظفو مكتبه، أو يخشى أن يرى مدير جامعته نشاطه فتقع الجفوة ويضعه في قائمة (البلاك لست)، أو نحوها من المصالح التي يقدرها كل أحد بحسبه، والمحزن أن ترى بعضهم -عفوًا بل هم كثيرون للأسف- بدلًا من أن يعترف بعجزه، أو على الأقل يقول لنفسه أن لديه مصالح دعوية راجحة تمنعه من النصرة، ونحو هذا؛ تراه يستسمن عمامة الحكمة بأكوارها وذؤابتها ويتزيا بها، وتندّ من لسانه العبارات الموحشة يطعن بها في ظهور أقوام غادروا يحتضنون الشهادة في سبيل الله.

أيقوى هذا على أن يأتي يوم القيامة وخصومه شهداء تثعب جراحهم، اللون لون الدم والريح ريح المسك؟! بئس الاختيار للخصوم هذا! وقد كان يسع هذا وأمثاله أن يجتهد فيما يمكنه، ويشارك إخوانه المجاهدين بالنية الصالحة والدعاء والحب، فالمرء مع من أحب، وقد كان في غنى عن أن يغطّي عجزه بأسمال الحكمة المثلجة. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

* نعيد نشر هذا المقال لكاتبه فك الله أسره، وقد نشر في ٢٠١٦م على هذا الرابط iswy.co/e16jus.

من تراث الأزهر

إزاحة المتسلطين لإقامة الدين

فضيلة الشيخ

محمد متولي الشعراوي رحمه الله*

قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) "المائدة٣٥" أي: أطيعوا أمره، وابتعدوا عن محارمه؛ لتفوزوا برضاه سبحانه، ويدخلكم جناته. وذلك هو الفلاح العظيم.

---

* مقتبس من كتاب: محمد متولي الشعراوي، الجهاد في الإسلام، اعتنى به: عبد الله حجاج، ط. مكتبة التراث الإسلامي، ص٤٩-٣٩.

كذلك عليك أن تعلم أيها المؤمن أن إيمانك لن يصبح كاملاً إلا بأن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك، فإن كنت قد أحببت لنفسك أن تكون على منهج الله تعالى فاحرص على أن يكون ذلك لإخوانك أيضًا. وإخوانك المؤمنون ليسوا هم فقط الذين يعيشون معك، ولكن هم الذين سيأتون من بعد ذلك. ولذلك عليك أن تجاهد في سبيل الله؛ لتعلو كلمة الله وتتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل . وهكذا تعلو الهمة الإيمانية، فلا تنحصر في النفس أو المعاصرين للإنسان المؤمن بل يتعدى أثرها ويتسع ليشمل كل الناس.

" ولذلك وضع لنا الحق سبحانه المنهج، وبين لنا الطريق المؤدي إليه. وكانت بداية الطريق أن الإنسان حينما يؤمن بأن لله نعيما وجزاء في الآخرة هو خير مما يعيشه ويحياه، تهون عليه نفسه، فيبذلها في سبيل الله تعالى، لذلك قال أحد الصحابة: أين أنا يا رسول الله إن قُتلت؟ قال: في الجنة، فألقى الصحابي ثمرات كن في يده ثم قاتل حتى قُتل. "

لابد إذن أنه قد عرف أن الحياة التي تنتظره خير من الحياة التي يعيشها. ولو حاولنا أن نستقصي مثل هذه البطولات والتضحيات لخرجنا بالكثير والكثير، لذا فإننا ننصح بمراجعتها في مظانها من كتب التراث فهى تمثل نموذجًا حيًّا لواقع عاشه سلفنا الصالح، وقدم فيه أغلى ما يملك وهو: حياته، في سبيل إعلاءِ راية التوحيد، حتى تصلنا الدعوة إلى الله تعالى خالصة نقية.

ونعود إلى موضوع الجهاد فنقول: لم يضع الله سبحانه الجهاد كوسيلة في أول الأمر، بل ظل يأمرهم بالدعوة والصبر، بالترغيب تارة، والترهيب أخرى، فلما قامت دولة الإسلام وأصبح المسلمون في منعة وعزة كان لابد لهم من قوة ترهب أعداء الله تعالى وتمنعهم من التصدي للدعوة، وتخلي بين الناس وبين اختيارهم. إذن فالجهاد في سبيل الله ضمان للمؤمن أن يظل المنهج الذي آمن به موصولاً إلى أن تقوم الساعة، وذلك لا يتأتى إلا بإشاعة المنهج في العالم كله. والنفس المؤمنة وقفت نفسها على أن تجاهد في سبيل الله لأن عندها إيثاراً إيمانياً. وتعرف أنها

أخذت خير الإيمان وتحب أن توصله إلى غيرها، ولا تقبل أن تأخذ خير الإيمان وتحرم منه المعاصرين لها في غير ديار الإسلام، وتحرص على أن يكون العالم كله مؤمنًا.

وإذا نظرنا إلى هذه المسألة نجدها تمثل الفهم العميق لمعنى الحياة، فالناس إذا كانوا أخياراً استفاد الإنسان من خيرهم كله، وإذا كانوا أشراراً يناله من شرهم الشيء الكثير. إذن.. من كمال الإيمان أن "يعدي" الإنسان الخير للغير. وإن دعوة المؤمن إلى سبيل الله يجب أن يخلي بينها وبين الناس.



" ومن أجل التخلية بين الناس ومنهج الله تعالى لابد من إزاحة المتسلطين بجبروتهم وسلطانهم وطغيانهم على عباد الله ، وهؤلاء المتسلطون تساندهم قوة من المنتفعين والأفاكين، لذلك يجب الإعداد لذلك قبل اللقاء في ساحات المعارك، فقبل اللقاء مع الخصم في ساحة المعركة لابد من حسن الإعداد. وعندما يعد المزمن نفسه يجد أن حركة الحياة كلها تكون معه، لأن الدعوة إلى الله تقتضي سلوكًا طيبًا، والسلوك الطيب ينتشر بين البشر، وهنا يقوى معسكر الإيمان، فيرتقي سلوكاً وعملاً، وعندما يقوى معسكر الإيمان لابد له أن يستخرج كنوز الأرض ليحمي أرض الإيمان بالتقدم الصناعي والعلمي والعسكري. "

الحق سبحانه يقول: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحديد: ٢٥] إذن.. الله سبحانه وتعالى الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب وأمر الناس بالعدل لم يطلب منا سبحانه أن نلتزم بمنهج العبادة فقط، بل أمرنا سبحانه بإعداد العدة لإقامة دين الله في الأرض، والتمكين لمن اختاروا الإسلام دينًا، وردع كل من تسول له نفسه الاعتداء على المسلمين وبلادهم، ولذلك قال سبحانه: (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ).



فسبحانه كما أنزل القرآن يحمل المنهج، أنزل الحديد فيه بأس شديد، وعلى الإنسان مهمة استخراج الحديد والمواد الخام التي تسهل لنا صناعة الأجهزة العلمية، كما علينا أن نقيم المصانع التي تنتج لنا من الحديد فولاذًا، ونحول الفولاذ إلى دروع، وتصنع أدق الأجهزة التي تهيئ للمقاتل فرصة النصر، وكذلك ندخر المواد الغذائية لتكفي في أيام الحرب. إذن.. حركة الحياة كلها جهاد، وإياك أن تُقصر فكرة الجهاد عندك على ساحة المعركة، ولكن أعد نفسك للمعركة؛ لأنك إن أعددت نفسك جيداً وعلم خصمك بقوة ما أعددت له، ربما امتنع عن أن يحاربك. والذي يمنع العالم الآن من معركة كبيرة تدمره هو الخوف من قبل الكتل المتوازنة لأن كل دولة تحاول أن تستقطب في جوارها دولًا أخرى، فلعبة التوازنات هذه هي التي تجعل من يحاول أن يقدم على حرب أن يفكر كثيراً، ولو أن في الكون قوة متسلطة واحدة لفسدت الدنيا وصدق الله إذ يقول: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [البقرة: ٢٥١].



وقول الحق سبحانه: (وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ) أي : جاهدوا في سبيل إقامة منهج الله تعالى؛ بدراسة هذا المنهج وتفهمه، ثم بعد ذلك المجاهدة فيه باللسان وبالسنان ، والمجاهدة فيه بالكتاب وبالكتيبة. إذن.. فقول الحق سبحانه: (وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ) كي يصنع أمة إيمانية متحضرة؛ حتى لا تترك الفرصة للكافر بالله ليأخذ أسباب الله وأسراره في الكون. فمن يعبد الإله الواحد أولى بالبحث العلمي، والأخذ بأسباب التقدم والرقي، ولو فرضنا أنه لن تقوم حرب، ولكننا نملك المصانع التي تنتج، وعندنا الزراعة التي تكفي حاجات الناس، عندئذ سنحقق الكفاية. وما لا نستعمله في الحرب سيعود على السلام. ويجب أن نعلم أن كل اختراعات الحياة التقدمية تنشأ أولًا لقصد الحرب. وبعد ذلك تهدأ النفوس وتأخذ البشرية هذه الإنجازات لصالح السلام.



قبل فوات الأوان..
ماذا بعد؟

حامد عبد العظيم

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وبعد:

فجميع الصادقين يرجون ويبتهلون إلى الله سبحانه وتعالى كل يوم أن يخلص البلاد والعباد من الطغاة الجاثمين على صدر هذه الأمة، وهذا أمر مطلوب وممدوح، ولكن الشيء الذي نفتقر إليه عدم وجود أي تصور جاد لما بعد سقوط الطغاة في بلد ما، مما يؤدي إلى تكرار الأوضاع المأساوية مرة تلو أخرى. وهذا ليس في بلد واحد ولكنه متكرر في أكثر من صقع عبر التاريخ المعاصر.

ولعل ما يصرف الناس عن ذلك الظن بأن الطغاة لا يتركون سدة الحكم وأنهم باقون إلى فترات طويلة مما يجعل السعي للتفكير فيما سيحدث بعد رحيلهم ووضع خطط لذلك ضربًا من تضييع الأوقات ونوعًا من الأحلام البريئة الساذجة، بل البعض ينظر إلى هذا بسخرية وربما هذا البعض ينتمي إلى المصلحين أنفسهم، ولسان حالهم أننا نعاني من الطغاة في الوقت الحاضر ونريد أن نتخلص من ظلمهم وطغيانهم وليس من الحكمة ترك معركة الوقت للتفكير في شيء مستقبلي لا ندري متى وكيف يحدث.

ومن الأسباب أيضًا: "الأنانية" التي يتصف بها جيلنا للأسف الشديد -إلا من رحم الله- على عكس الأجيال السابقة التي كانت تضحي بأنفسها من أجل الأجيال اللاحقة من المسلمين، وهو الأمر الذي لا نفكر فيه بجدية بكل أسف وصرنا نفكر تفكيرًا ماديًا ونقول بلسان الحال "إن هي إلا حياتنا الدنيا"، ويغيب عنا أن هناك امتدادين مهمين للغاية لحياتنا القصيرة يجب أن نعمل من أجلهما ونضعهما في حساباتنا ونحن نسعى، الامتداد الأول هو السنوات التي ستأتي بعد أن ينتهي عمرنا وما سنتركه من أثر صالح فيها يخدم المسلمين في معركتهم المستمرة مع الشيطان والكفر فلا نتركهم يبدؤون من الصفر أو من مسافة بعيدة، والامتداد الثاني هو الحياة الآخرة التي ستبدأ فور خروج الروح والتي سنُسأل فيها عن عمرنا فيما أفنيناه.

أما ظن البعض أن الطغاة لا يتركون الحكم فهذا يتسرب إلى النفوس بسبب سطوة الطغيان وزيادة البطش وتفشي الظلم، إنها نفس الصيحة التي تقول بحسرة وحنق وفقدان للأمل: "متى نصر الله"، ليأتيها الجواب الإلهي "ألا إن نصر الله قريب"، نعم إن نصر الله قريب وليس هذا من قبيل نشر التفاؤل ولكنه حق رآه جيلنا بعينه، ما بين طغاة هربوا خوفًا من شعوبهم، وطغاة قُتلوا على يد شعوبهم، وطغاة وقفوا مكان الأبرياء الذين كانوا يظلمونهم خلف الأسوار، ولكن لغياب التصور الذي ننادي به ولغياب

الإعداد الذي أمر الله سبحانه وتعالى به اضطربت قوتنا وتشتت بوصلتنا واستطاع جنود الشيطان أن يتعافوا ويعودوا مرة أخرى.



أما الأنانية فهي خُلق لا ينبغي أن يكون لدى المسلم أبدًا، ولو كان عند أجدادنا من الصحابة ومن بعدهم لما كنا مسلمين الآن ننعم بنعمة الإيمان والتوحيد، فسؤال "ماذا أقدم إلى مَن بعدي من إخواني المسلمين؟» لابد أن يكون حاضرًا بقوة في سعينا جميعًا ولابد أن يكون مستقبلهم جزءًا من أهدافنا، وهذا عين الفهم الحقيقي لـ"نصر الله"، فنصر الله أن تموت على دين الله سبحانه وتعالى وعلى ما يدعو إليه القرآن والسنة وأن تبث هذا المنهج الإسلامي فيمن حولك ومن تتحمل مسؤوليتهم وتسلم الراية لمن يأتي بعدك نقية بلا تحريف أو تزييف، بهذا تكون قد انتصرت في معركتك الصغيرة وأديت الأمانة كاملة، أما هلاك طاغوت أو تحقق حكم إسلامي فهذا متروك لخالق الكون يحدد وقته بحكمته البالغة.

إذن فالعمل على وضع تصور كامل والإعداد الشامل لما بعد سقوط الطغاة يتسق مع اليقين في موعود الله ومع عدم أنانية المسلم، وليس المقصود من وضع هذا التصور لما بعد سقوط الطغاة ألا يكون هناك سعي لإسقاطهم بالجهاد في شتى الميادين، بل المقصود أن يكون هذا ملفًا مستقلاً يُفرغ له ويفكر فيه

نخبة ممن أعطاهم الله القدرة على التفكير الاستراتيجي، ومَن اطلع بصورة جيدة على سنن الله تعالى في خلقه، وما مر من أحداث التاريخ ووقائعه وقيام الممالك وسقوطها، إضافة إلى الإلمام الجيد بتاريخ كل بلد يوضع لها التصور. ويُمد هؤلاء المفكرون بكل الأسباب التي تمكنهم من التميز والاستمرار في عملهم.



ولمعرفة أهمية هذا الملف تخيل معي الآن حدوث شيء في بلد ما أدى إلى سقوط طاغيتها، مهما كان هذا الشيء، إما بموته بصورة طبيعية أو بمقتله، أو بخروج مظاهرات حاشدة ضده، أو بالانقلاب عليه، أو بتنحيته بواسطة أسياده من الغرب أو الشرق، أو غير ذلك، حينها ستكون الأجواء غالبًا مهيئة للحصول على مكاسب لمن هو جاهز للتحرك، سيكون هناك فراغ وسيُملأ حتمًا إما بك وبأمثالك من المصلحين، أو بغيرك من الفاسدين والطغاة الجدد. وحينها إما أن تكون مستعدًا فتتحرك بتصور واضح وبأدوات قوية فتحصل المكاسب وتكون جاهزًا للدفاع عن مشروعك الإصلاحي، أو غير مستعد وليس لديك تصور واضح ولا رؤية فتتخبط خبط عشواء وتضر أكثر مما تنفع وسرعان ما تنقلب الأمر ضدك وتؤكل بلا رحمة.

إن مراكز التفكير الاستراتيجية تملأ بلاد الغرب والصهاينة، وهذا بلا شك من أسباب نجاحهم، بل ولا نستحي أن نقول إن تجربة الصهاينة على صعيد التفكير الاستراتيجي والمثابرة هي من أنجح تجارب التاريخ بهذا الصدد، رغم خبثها

ومكرها إلا أنها نجحت في وضع الخطط والتفكير لسنوات طويلة قادمة وصبر في التنفيذ، وينبغي أن تكون هذه التجربة من التجارب التي يضعها المسلمون ضمن تجارب كثيرة لدراستها وأخذ العبر منها، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: "الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها". وهو القائل صلوات ربي وسلامه عليه عن الشيطان: "صدقك وهو كذوب".

هذا الملف الاستراتيجي لن يقوم إلا على أكتاف رجال صادقين يبذلون من أموالهم وجهدهم في سبيل إنجاحه، رجال ذي همة تناطح السحاب يواصلون الليل بالنهار ويتعاونون على البر والتقوى ولا يسمحون لضغط الواقع وظلم الطغاة أن يصرفهم عن تلمس نور الحق واليقين في هذا الدين، وأن يكونوا ذوي عقيدة صلبة قوية وأن يعلموا أن الإسلام قد مر بمحن صعبة للغاية وخرج منها أقوى من ذي قبل وأصبحت له الدولة والشوكة بعد أن كان أهله يُعذبون في صحراء مكة وتُشرب دماؤهم على أيدي المغول، ويُحرقون في جبال الأندلس وحدائقها الواسعة، فكل محنة من هذه المحن تبعها مُلك المسلمين وحضارة واسعة لهم وقوة استمرت لمئات السنوات.

صفة أخيرة قد تسربت إلى أمتنا آثرت أن أضعها في خاتمة هذا المقال حتى تبقى في النفوس تفكر بها، ألا وهي صفة الاتكال على الغير في البدء، فجميعنا ننتظر غيرنا ليبدأ وننضم إليه في أحسن أحوالنا، عندما نقرأ مقالًا أو نسمع خطبة أو نصيحة ونتحمس ترانا نبدأ في البحث عمن سيبدأ في التنفيذ؟ لا يا أخي العزيز وأختي الكريمة، نحن الذين يجب علينا أن نبدأ لا غيرنا فلو انتظر الجميع لن يفعل أحد شيئًا، من الممكن أن تبدأ في شيء ما عن طريق التحدث مع من تراه مؤهلًا له، فكم من مشروع عظيم أُنجز كانت بدايته رجل حر كريم ذو نية طيبة سعى لجمع الناس وترغيبهم وإقناعهم!

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

klmtuhaq



العدد ٢٧ ، أكتوبر ٢٠١٩ | كلمة حق

المشرف العام
محمد إلهامي

مديـــر التحـــرير
حامد عبدالعظيم